من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الكتاب الثاني

إرشاد المريدين

وإنجاد الطالبين

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أفصَحَ الشيخُ السُّهروردِيُّ في مقدمةِ كتابِهِ هٰذا عن الباعثِ علىٰ تأليفِهِ ؛ وهو أنَّ جماعةً مِن أصدقائِهِ كانوا قدِ التَمَسُوا منهُ أن يُدوِّنَ مُختصَراً في بيانِ مذهبِ أربابِ السُّلوكِ وآدابِهِم ؛ فأجابَ التماسَهُم بتعليقِ هٰذا الكتابِ .

أدارَ السُّهروردِيُّ مسائلَ كتابِهِ علىٰ أبوابٍ متفاوتةٍ في الطُّولِ ، وبدأ بذكرِ الطُّرُقِ ، وبيَّنَ انقسامَها إلىٰ شريعةٍ وطريقةٍ وحقيقةٍ ، وشَرَحَ مَعنىٰ كلٍّ منها .

ثمَّ عَقَدَ باباً نافعاً في اصطلاحاتِ أهلِ التصوفِ ، وذكرَ منها (٢٦) مُصطَلحاً ، وشَرَحَها شرحاً مفيداً ، وهو في نَظَري مِن أحسَنِ الذينَ تَعرَّضُوا لمصطلحاتِ التصوفِ .

ثمَّ تَكلَّمَ على الكثيرِ مِنَ المنازلِ التي يَنزِلُ بها السائرونَ ؛ كالتوبةِ والمجاهدةِ والتقوىٰ ونحوِ ذٰلكَ ، وَأخذَتْ هٰذه المنازلُ شطراً كبيراً مِنَ الكتابِ ، كما أنَّهُ تكلَّمَ على الفُتوَّةِ في أحدِ الأبوابِ ، وهي مسألةٌ تكلَّمَ هو عليها في رسالةٍ مستقلةٍ ؛ وهي « الفُتُوَّةُ » ، وقدْ أوردناها في هٰذا المجموع .

ثمَّ عَقَدَ أبواباً في التصوفِ وأورَدَ فيها وصيةً جامعةً ، ثمَّ تكلَّمَ عن أخلاقِ أهلِ التصوفِ وآدابِهِم في الحضرِ والسَّفَرِ ، واستطرَدَ في ذِكرِ دقائقَ مِنْ هٰذهِ الآدابِ ، وهي مسألةٌ أفرَدَها السُّهروردِيُّ برسالةٍ مُستقلَّةٍ ؛ وهي :

« زادُ المسافرِ وأدبُ الحاضرِ » ، وقد أَورَدناها في هٰذا المجموعِ [1]

وعلىٰ أيَّةِ حالٍ ؛ فإنَّ موضوعاتِ الكتابِ تَتشابَهُ في كثيرٍ منها معَ موضوعاتِ كتابِه الشهيرِ : « عوارفُ المعارفِ » ، مع تَقارُبٍ في العبارةِ ، وتَشابُهٍ في الأسلوبِ .

ويمتازُ الكتابُ بسهولةِ العبارةِ إذا قُورِنَ بغيرِهِ من كُتُبِ السُّهروردِيِّ ، حتَّىٰ إنَّ القارئَ لَيُطالِعُ الكتابَ فلا يَتعثَّرُ في فَهمِ شيءٍ مِنْ عباراتِهِ ، عِلاوةً علىٰ نَقلِهِ عن كِبارِ مشايخِ التصوُّفِ ؛ كالجُنَيدِ ، والأستاذِ القُشَيريِّ ، وأبي عليٍّ الدَّقَّاقِ ، وذي النُّونِ ، وأبي تُرابٍ النَّخْشَبيِّ ، وغيرِهم ، رَحِمَهمُ اللهُ تعالىٰ .

(١) وقد عقدت في كتابي « أبو حفص عمر السهروردي ؛ حياتُه وتصوُّفُه » (ص ٢٢٥ ـ ٢٤١) مبحثاً عن أخلاقِ الصوفيةِ وآدابِهم عند السُّهروردِيِّ ، فليُنظَر لمزيدِ الفائدةِ .

وصف النّسخ المعتمدة في التّحقيق

ـ نُسخة من مكتبة جار الله بتركيا ، رقم المخطوطة (١٠٨٤) ، ورمزتُ لها (أ) .

ـ نُسخة من مكتبة الشهيد علي بتركيا ، برقم (١٣٩٧) ، ورُمز لها بالرمز (ب) .

وتوجد منها (١٠) نسخ زيادة على ما ذكرنا ، وتُذكر على الترتيب الآتي :

المملكة العربية السُّعودية :

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم (٠١٢٦٨ ـ ١ ، ب ٤٦٠٨٠) .

العراق :

ـ مكتبة الأوقاف العامة في بغداد : برقم (٤٤/٧٠٧١) (١٢ ورقة) .

ـ المكتبة القادرية : برقم (١/١٤٧٨) (١٥ ورقة) كتبت في (١٠٠٠ هـ) .

اليمن :

مكتبة علي بن إبراهيم الخاصة بصنعاء برقم (٣/٢٤٣) (١٧ ورقة) مكتوبة في (١١٦٧ هـ) .

تركيا :

أماسية Amasya : برقم (٤/١٠٧٤) ، الأوراق (١٠٤ ـ ١٢٨) .

الهند :

ـ مكتبة خُدابخش : برقم (٨٦٤) .

ـ مكتبة رضا برامبور : برقم (١/٥١) .

أوزبكستان :

مكتبة معهد البيروني للدراسات الشرقية في طشقند برقم (٢٩٨١) .

نماذج من صور المخطوطات

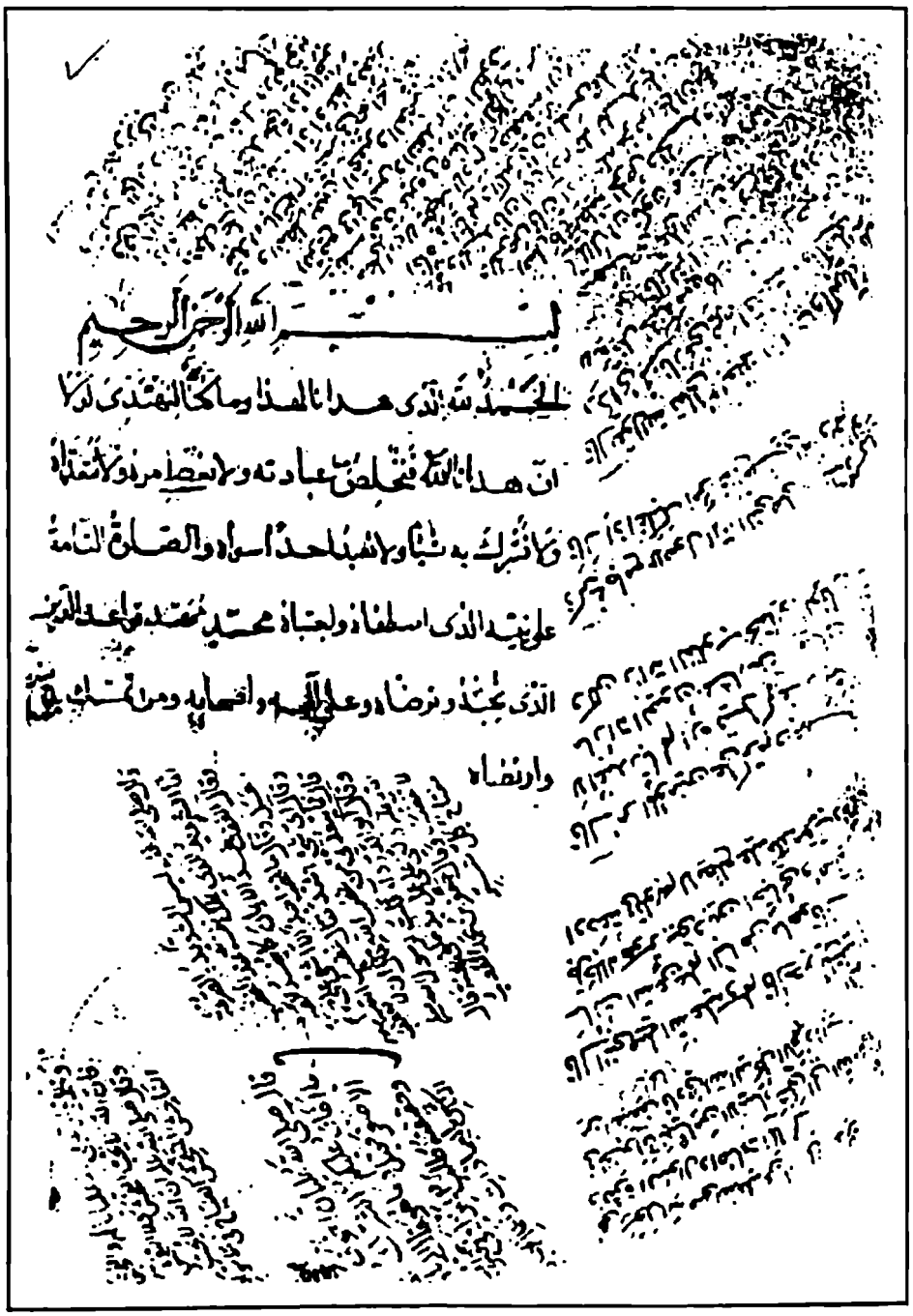

نسخة مكتبة جار الله تركيا (أ)

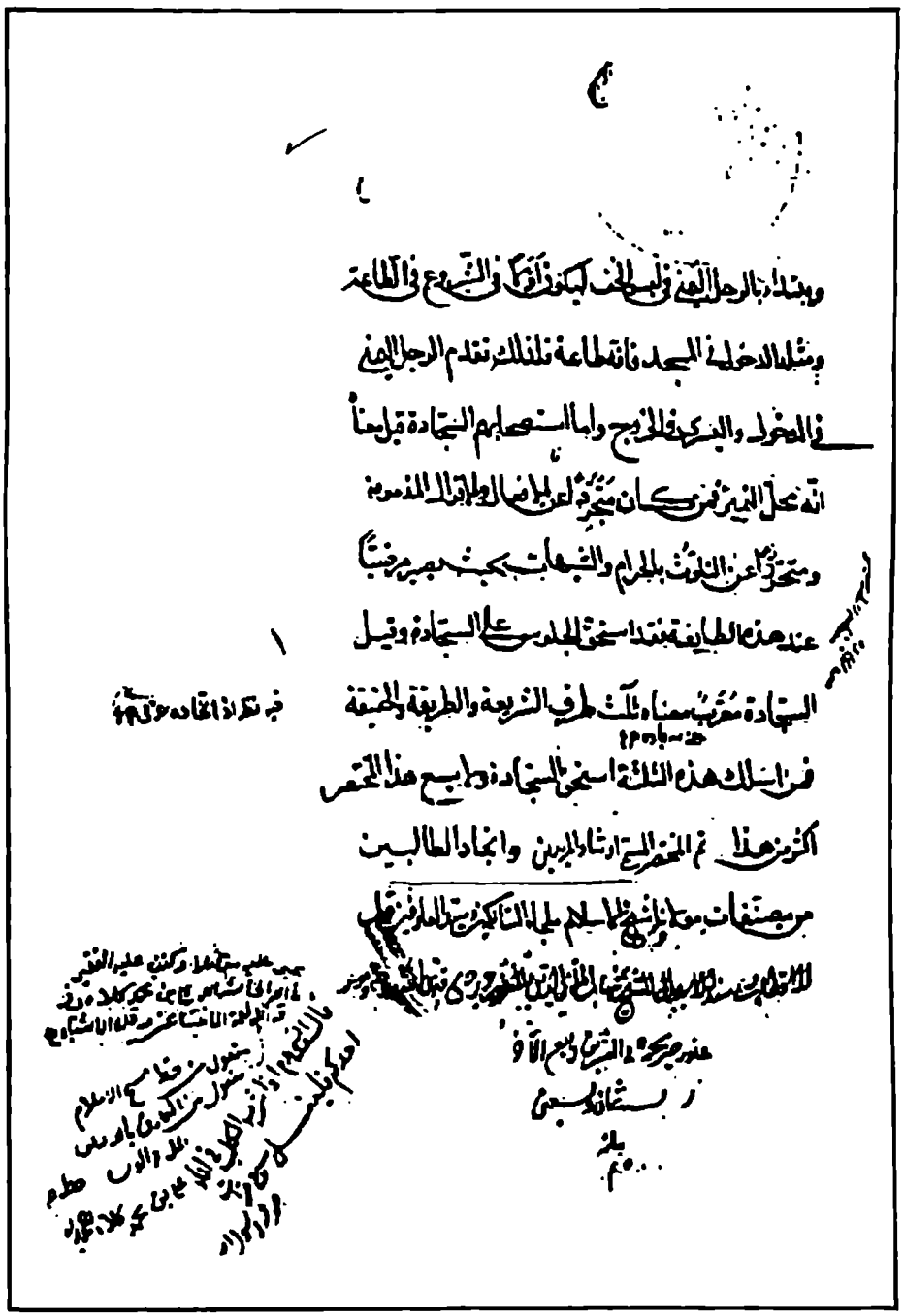

نسخة مكتبة جار الله تركيا (أ)

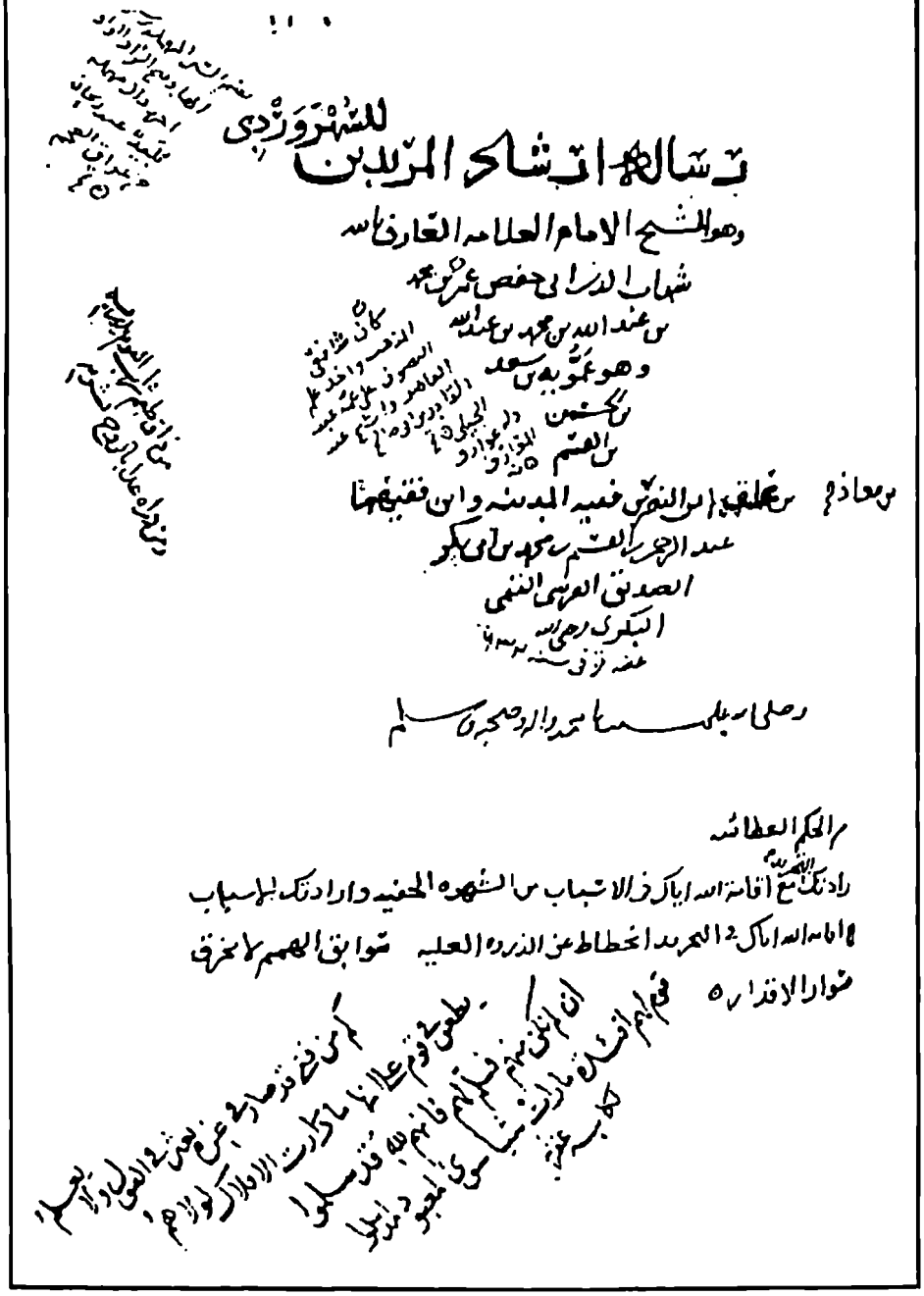

رسالة ارشاد المريدين للشهرزوري

وهو الشيخ الامام العلامة العارف بالله

شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد

بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

وهو عمّ بكر بن سعد

بن شخنم

بن القسم

ومعاذ بن خلف ابو النضر فقيه المدينة وابن فقيهها

عبد الرحمن القسم بن محمد بن ابي بكر

الصديق القرشي التيمي

البكري رضي الله

عنه توفي سنة ٣٠٣ هـ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحكم العطائية

زادنك الله مع اقامة الله اياك في الاتصاف من الشهوة الخفية وازادنك للاسباب

الا اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الذروة العلية ضوابط الهمم لا تخرق

ضوار الاقدار ٥

نسخة مكتبة الشهيد علي تركيا (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فنحمده على عادته ونستعينه في امره ونستعيذ به من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه ونشهد مواعد الدين الذي ارتضاه ورضيه وعلى آله واصحابه ومن تمسك به واقتفاه اما بعد فقد التمس مني جماعة اصدقائي وزمرة اخلائي ان اجمع لهم مختصرا في بيان مذهب اصحاب التصوف فانهم في الآخرة هم الفوز فاجبتهم الى ذلك واوردت جميع الابواب التي تتعلق بهذا الفن مستعينا بالله العظيم فاقول الطريق وهي بالنسبة الى الشريعة كالبدن والشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالبلد فمن اراد البلد ركب السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل الى البلد فمن ترك هذا التعب لم يصل الى البلد فاول شيء يجب على الطالب هو التوبة والمراد بالشريعة ما امر الله ورسوله من الوضوء والصلاة والصوم والزكوة والحج وطلب الحلال وترك الحرام وغير ذلك من الاوامر والنواهي فلو رايت احدا يطير في الهوى او يمشي على الماء او يأكل النار او غير ذلك مما يشبه الكرامات وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى او سنة من السنن فاعلم انه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو سحر يستوجب للادب والتعزير ومعنى قول الحق بعض عند الله ممقوت عنده اني صلى الله عليه وسلم لا يعتد على فعله ولا على قوله روي ان ابا يزيد رحمه الله تعالى قصد رجلا مشهورا بالزهد والصلاح فلما قصد مسجده راه يبصق تجاه القبلة فرجع ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا عمر ما مون على ادب من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مامونا على ما يدعيه فليزن الرجل طاهر

بالجائز

نسخة مكتبة الشهيد علي تركيا (ب)

طلب المدد عنه باللطف والادب وليقل ياسيدي خفي علي شرح هذا الامر بالقول والفعل ابتدني
وبهتي بكشف سره لاستفيد منك وليكن جميع افعاله واقواله مع اخوانه وخلطائه
باللطف والصفا وليبعد عن الخشونة في القول وليصفح عن الاخوان وليتحمل اذاهم
فان التصوف هو الخلق الحسن فاذا اراد الخروج من ذلك الموضع فليستاذن الشيخ
وان لم ياذن له الشيخ بالخروج اقام مدة من اجل خاطر الشيخ وليتحمل من القول فان
كان له عيال مع اخذ فلا يخرج حتى يرفع ذلك العيال وليزر اهل ذلك الموضع من الاحيا
والاموات وليلتف كمه اليمنى اولا عند الخروج ثم اليسرى ثم يشد وسطه ويجمع
فخذي الفخذين على الاخرى تحت احداهما بالاخرى ويضعهما في الخريطه
بحيث يكون راس المداس عند راس الخريطه وسند راس الخريطه خلف
ظهره داخل الخرقه ويجلس ويحل ارجله اليمنى في الخف ثم اليسرى بحيث لا يقع
ثيابه شيء على الارض ثم يغسل يديه بعد الفراغ من لبس الخف ويحمل الراويه
تحت ابطه اليسرى والعصا والمبرز ايضا بيده اليسرى فان حمل احدهما
بيمينه فاذا خرج من الرباط ليشد الراويه على ظهره ويودع من يتبعه للوداع
ويقبل على القوم في كل لحظة مادام القوم واقفين ينظرون اليه ويشير
اليهم بزاسه للخدمة والتواضع ثلث مرات متفرقات لكل واحد من آحادهم
فاذا خرج زاويته عن ظهره قبل ان يدخل الرباط ان دخول الرباط ليكن
ويخرج الرباط موضع التجريد واما حمل الراويه تحت ابطه اليسرى فلان
الراويه من الرباط لا تشتغل بيده اليمنى لان كل شغل حقير يعمل باليد اليسرى
ولا يترك السلام عند الدخول فلان الصوفي لعدم خدمة الله على كل شيء
اذا وصل يحيته الموضع فحينئذ يسلم على القوم واما ابتداءهم بالخروج الرجل
اليسرى من المداس والخف عند دخول الرباط وجعل الرجل اليمنى في الخف
المداس اولا عند الخروج لان الشر انعاب النفس وهو طاعة فليجعل
الرجل اليمنى متاخرا في اخراج الخف من الرجل ليبقى انطاعه لحظ اخرى

نسخة مكتبة الشهيد علي تركيا (ب)

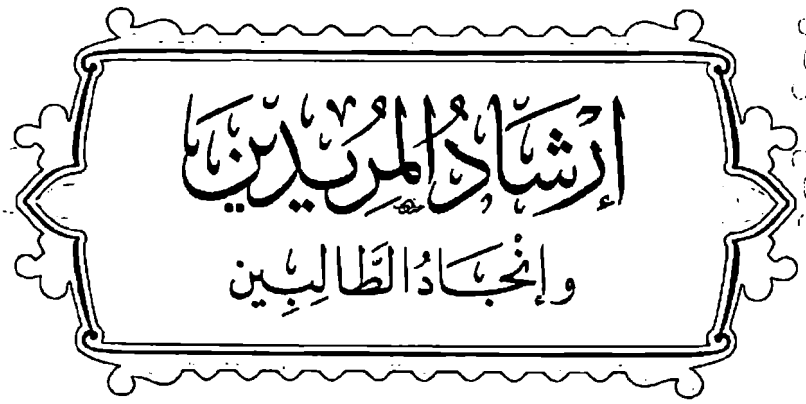
إرشاد المريدين
وإنجاد الطالبين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ [1]

الحمدُ للهِ الَّذي هدانا لهٰذا ، وما كنَّا لنَهتديَ لولَا أنْ هدانا اللهُ ، فنُخلِصُ عبادتَهُ ولا نَعصي أمرَهُ ولا نتعدَّاهُ ، ولا نُشركُ به شيئاً ولا نَعبُدُ أحداً سِواهُ ، والصَّلاةُ التَّامَّةُ علىٰ نَبيِّه الَّذي اصطفاهُ واجتَباهُ ، محمَّدٍ مُمهِّدِ قواعدِ الدِّينِ الَّذي نُحِبُّهُ ونَرضاهُ ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تمسَّكَ بدينِهِ وارتضاهُ .

أما بعد :

فقدِ التَمسَ مِنِّي جماعةُ أصدقائي وزُمرَةُ أخِلَّائي أنْ أضَعَ لهم مختصَراً في بيانِ مَذهبِ أربابِ [2] السُّلوكِ ؛ فإنَّهُم في الآخرةِ همُ الملوكُ ، فأجبتُهُم في ذٰلكَ ، وأَورَدتُ فيهِ جميعَ الأبوابِ الَّتي تَتعَلَّقُ بهٰذا الفنِّ ، مُستَعِيناً باللهِ العظيمِ .

---

(١) كتب في (أ) علىٰ جَانبَيِ البَسملةِ : (يا خفيَّ الألطافِ ؛ نجِّنا ممَّا نخاف) .

(٢) في (ب) : (أصحابِ) .

باب بيان الطّرق

وهي ثلاثةٌ : شريعةٌ ، وطريقةٌ ، وحقيقةٌ .

يُقالُ : الشَّريعةُ كالسَّفينةِ ، والطَّريقةُ كالبحرِ ، والحقيقةُ كالدُّرِّ ؛ فمَنْ أرادَ الدُّرَّ . . ركِبَ السَّفينةَ ، ثمَّ شَرَعَ في البحرِ ، ثمَّ وصلَ إلى الدُّرِّ ؛ فمَن تركَ هٰذا التَّرتيبَ . . لمْ يَصِل إلى الدُّرِّ ، فأوَّلُ شيءٍ يجبُ على الطَّالبِ هو الشَّريعةُ .

والمرادُ بالشَّريعةِ : ما أمرَهُ اللهُ تعالىٰ ورسولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ؛ مِنَ الوضوءِ والصَّلاةِ والصَّومِ وأداءِ الزَّكاةِ والحجِّ ، وطلبِ الحلالِ وتركِ الحرامِ ، وغيرِ ذٰلك مِنَ الأوامرِ والنَّواهي .

ولو رأيتَ أحداً يطيرُ في الهواءِ ، أو يَمشي على الماء ، أو يأكلُ النَّارَ ، وغيرَ ذٰلكَ ممَّا يُشبِهُ الكَراماتِ ، وهو يَترُكُ فرضاً مِنْ فرائضِ اللهِ تعالىٰ ، أو سُنَّةً مِنَ السُّنَنِ عامداً . . فاعلمْ أنَّهُ شيطانٌ مِنَ الجنِّ أو الإنسِ ، وليسَ فِعلُهُ كرامةً ؛ بلْ هو سِحرٌ مُستوجِبٌ للتَّأديبِ والتَّعزيرِ ، مُعرِضٌ عن دِينِ الحقِّ ، مُبغَضٌ عندَ اللهِ ، مُسخَطٌ عندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، لا يُعتمَدُ علىٰ فعلِهِ ولا علىٰ قَولِهِ .

رُويَ أنَّ أبا يزيدَ قصَدَ رجلاً مشهوراً بالزُّهدِ والصَّلاحِ ، فلمَّا دخلَ المسجدَ . . رآهُ يَبصُقُ تُجاهَ القِبلَةِ ؛ فرَجَعَ أبو يزيدَ ولم يُسلِّم عليهِ ، وقالَ : هٰذا غيرُ مأمونٍ علىٰ أدبٍ مِن آدابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم[1] ، فكيف يكونُ مأموناً علىٰ ما يَدَّعِيهِ ؟![2] .

---

(١) يشير إلىٰ أحاديث النهي عن البصق في القِبْلةِ ، وهي كثيرة ؛ منها ما أخرجه البخاري (٤١٦) ومسلم (٥٥٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ١٢٨) .

فَلْيُزَيِّنِ الرَّجُلُ ظاهِرَهُ بلباسِ الشَّريعةِ حتَّىٰ يَقَعَ نورُ الشَّريعةِ في قلبِهِ ؛ فيُضيءَ قلبَهُ ، ويُزيلَ عن قلبِهِ الظُّلمَةَ الإنسانيَّةَ ، فيُمكِنَ للطَّريقةِ النُّزولُ في قلبِهِ .

والطَّريقةُ : الأخذُ بالتَّقوىٰ وما يقرِّبُكَ إلى المولىٰ ؛ مِن قَطعِ المَنازلِ والمَقاماتِ ، فكلُّ مَقامٍ طريقةٌ ، وطُرُقُ المشايخِ مختلِفةٌ ؛ لأنَّ مَقاماتِهم وأحوالَهم مُختلِفةٌ ، وكلُّ شيخٍ وضَعَ طريقةً علىٰ ما هو عليهِ مِنَ الحالِ والمَقامِ ؛ فبَعضُهُم طريقُه الجلوسُ مع النَّاسِ وتربيتُهُم ، وبعضُهُم طريقُهُ اختيارُ الوَحدَةِ والنَّفرةِ مِنَ النَّاسِ ، وبعضُهُم طريقُهُ كثرةُ الأورادِ مِنَ الصَّومِ والصَّلاةِ وغيرِهِما مِنَ الطَّاعاتِ ، وبعضُهُم طريقُهُ خِدمةُ النَّاسِ بحَملِ الحَطَبِ والحشيشِ علىٰ ظَهرِهِ ، ويَبيعُ في السُّوقِ ، ويَتصَدَّقُ بثَمنِهِ ، وعلىٰ هٰذا لكلِّ واحدٍ منهُم اختيارٌ مِنَ الطُّرُقِ .

وأمَّا الحقيقةُ : فهي الوصولُ إلى المقصدِ ، ومشاهدةُ نورِ التَّجلِّي ، كما قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لحارثةَ : « لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ يَا حَارِثَةُ ؟ » ، فأجابَ وقالَ : عَزَفَتْ نفسي عنِ الدُّنيا ؛ فاستوىٰ عندي حَجَرُها ومَدَرُها ، وذَهَبُها وفِضَّتُها ، وأظمأتُ نهاري وأسهرتُ لَيلي . . . الحديثَ[1] .

فتمسُّكُهُ بدينِ اللهِ وقيامُهُ بأمرِهِ . . شريعةٌ ، وأخذُهُ بالأحوطِ والعزيمةِ ؛ بسَهَرِهِ وظمَئِهِ وعزوفِ نفسِهِ عنِ المشتهَياتِ . . طريقةٌ ، وانكشافُه عنِ الآخرةِ وَوِجدانُهُ ذٰلك . . حقيقةٌ .

وقيلَ : الشَّريعةُ : اسمٌ جامعٌ لسُبُلٍ إلٰهيَّةٍ مشتَمِلةٍ علىٰ أصولِها وفُروعِها ، رُخَصِها وعزائمِها ، حَسَنِها وأحسَنِها .

والطَّريقةُ علىٰ لسانِ المشايخِ الصُّوفيةِ : هي الأخذُ بأَحسَنِها وأَقوَمِها وعزائمِها ، وكلُّ مَسلَكٍ يَسلُكُ الإنسانُ أَحسَنَهُ وأَقوَمَهُ فيُسمَّىٰ : طريقةً ؛ قولاً كان أو فعلاً أو حالاً

---

(١) أخرجه البزار في « المسند » (٦٩٤٨) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وأمَّا الحقيقةُ : فهي إثباتُ وجودِ الشَّيءِ ، وكشفُهُ عِلماً وبُرهاناً ، أو حالاً وَوِجداناً ، كما قيلَ في الصَّلاةِ : إنَّ الصَّلاةَ خِدمةٌ وقُربةٌ وصِلةٌ ؛ فالخدمةُ هي الشَّريعةُ ، والقُربةُ هي الطَّريقةُ ، والوُصلةُ هي الحقيقةُ ، والصَّلاةُ جامعةٌ لخِصالِها الثَّلاثةِ ؛ كما قيلَ : الشَّريعةُ أن تَعبُدَهُ ، والطَّريقةُ أنْ تَحضُرَهُ ، والحقيقةُ أنْ تَشهَدَهُ .

باب اصطلاحاتهم

منها الوقتُ :

يُريدونَ بالوقتِ ما هم عليهِ مِنَ الحالِ في الزَّمانِ الحاضرِ ؛ إنْ كانَ الرَّجُلُ في السُّرورِ . . فوقتُهُ السُّرورُ ، وإنْ كانَ في الحُزنِ . . فوقتُهُ الحُزنُ .

ويُقالُ : (الصُّوفيُّ ابنُ وَقتِه)[1] يعني : يَشتغِلُ بما تَوجَّهَ إليهِ مِن حُكمِ اللهِ ، لا يُعلِّقُ قلبَهُ بالماضي ولا بالمستقبلِ ؛ فإنَّهُ لو اشتغَلَ بالماضي أو المُستَقبلِ . . لَفاتَ الوقتُ ، ومراعاةُ الوقتِ أَولىٰ ؛ لأنَّهُ مُكلَّفٌ بالوقتِ دونَ زمانٍ آخَرَ .

ويُقال : (الصُّوفيُّ بحكمِ وقتِهِ)[2] يعني : مستسلمٌ لِما يَجري عليه مِن قضاءِ اللهِ وقَدَرِه في وقتِه .

وقيلَ : الوقتُ سيفٌ قاطعٌ ؛ يعني : كما أنَّ السيفَ قاطعٌ ؛ فما يجري مِن قضاءِ اللهِ وقَدَرِه في الوقتِ قاطعٌ ، لا يُمكِنُ خِلافُهُ .

ومنها المَقامُ :

والمَقامُ ما قامَ بهِ الرَّجُلُ مِنَ المَنازلِ .

والمَنازلُ مختلفةٌ ؛ أوَّلُها : الإتيانُ بالأوامرِ ، وتركُ النَّواهي ، ومعرفةُ عيوبِ النَّفسِ .

والآخرُ : تَنقِيةُ النَّفسِ عنِ العُيوبِ المذمومةِ عندَ اللهِ .

والعيوبُ كثيرةٌ ، أَعظَمُها : إعجابُ المرءِ بما فَعَلَ مِنَ الطَّاعاتِ ، والمنازلُ كثيرةٌ يطولُ إحصاؤُها ها هُنا ، وشرطُ السَّالكِ : ألَّا يَصعَدَ مِن مَقامٍ إلىٰ مَقامٍ

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٣٢) .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٣٤) .

آخَرَ حتَّىٰ يَستوفيَ حقَّ المقامِ الأوَّل ، وإلَّا . . كانَ كالمريضِ يَشرَبُ المُسهِلَ قبلَ نُضجِ خَلطِهِ ، فإنَّهُ لا يُفيدُه المُسهِلُ ، بلْ يَزيدُ عِلَّتَهُ .

ومنها الحالُ :

والحالُّ ـ بتشديدِ اللَّام[1] ـ ما نزلَ على القلبِ مِن طَرَبٍ أو قَبضٍ أو بَسطٍ أو شَوقٍ أو ذَوقٍ أو غيرِها ، ويقالُ : الحالُّ كالبرقِ ؛ يعني : لا يَبقى الحالُّ ، بلْ يزولُ عن قريبٍ ؛ فإنْ بَقِيَ مع الرَّجُلِ . . فهو حديثُ النَّفسِ ، وليسَ بحالٍّ .

وقيلَ : المعنىٰ في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي ، حَتَّىٰ أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ في ٱلْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً »[2] : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَرتقي مِن حالٍّ إلىٰ حالٍّ هو أعلىٰ مِنَ الأوَّلِ ، فيَستَغفِرُ عن كونِهِ في الحالِّ الأوَّلِ ؛ فإنَّهُ لا يَرضىٰ بالنَّاقصِ ، بلْ يَطلُبُ الحالَّ الكاملَ .

وقالَ قومٌ : بلْ يدومُ الحالُّ .

وقالَ أبو عُثمانَ الحِيريُّ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامني اللهُ في حالٍّ فكرهتُهُ)[3] ؛ يعني : أنَا منذ أربَعين سنةً في حالِّ الرِّضا ، وهٰذا إشارةٌ إلىٰ دوامِ الحالِّ .

ومنها القَبضُ والبَسطُ :

وهما يُشبهانِ الخوفَ والرَّجاءَ ، إلَّا أنَّ الخوفَ والرَّجاءَ للعوامِّ ، والقَبضُ والبَسْطُ للخَواصِّ خاصَّةً مِن أصحابِ المقاماتِ ، فالخوفُ : أن يخافَ الرَّجُلُ في الزَّمانِ المستَقبَلِ فَوتَ ما يحبُّه ، أو وُصولَ ما يَكرَهُه إليه ، وأمَّا الرَّجاءُ : فأملُ محبوبٍ أو زوالِ مكروهٍ كانَ عليهِ .

---

(١) انظر « كشَّاف اصطلاحات العلوم » (١/٦١٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديثِ سيدنا الأغرِّ المزنيِّ رضي الله عنه بلفظ : « مئة مرَّةٍ » .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٣٨) .

وأمَّا القبضُ والبَسطُ . . فيكونانِ في الزَّمانِ الحاضرِ .

وحقيقةُ القَبضِ : وُرودُ شيءٍ في قلبِهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ؛ إشارةً إلىٰ تقصيرٍ فيهِ ، واستحقاقِ تأديبٍ على التَّقصيرِ .

والبَسطِ : ورودُ إشارةٍ في قلبِهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ إلىٰ لُطفٍ وترحيبٍ وتكريمٍ .

وقدْ يكونُ القَبضُ والبَسطُ لا يَدري صاحبُهما سبَبَهُما ، وطريقُ صاحبِ القَبضِ الذي لا يَدري سَبَبَه : التَّسليمُ حتَّىٰ يَمضِيَ ذٰلكَ الوقتُ .

ومنها : الهَيبةُ والأُنسُ :

فالهيبةُ تُشبِهُ القَبضَ ، إلَّا أنَّها أشدُّ مِنَ القَبضِ ؛ لكونِ الواردِ مِنَ اللهِ تعالىٰ على القلبِ أشدَّ تهديداً وعِتاباً ، والأُنسُ يُشبِهُ البَسطَ ، إلَّا أنَّهُ أتمُّ مِنَ البَسطِ ؛ لكونِ الورادِ مِنَ اللهِ تعالىٰ أكثرَ ترحيباً وتَلَطُّفاً .

ومنها : التَّواجدُ والوَجدُ والوُجودُ :

فالتَّواجدُ : إظهارُ الوَجدِ عن نفسِهِ ، وطلبُ حصولِ الوَجدِ في نفسِهِ .

وأنكَرَ قومٌ التَّواجُدَ ؛ لأنَّهُ إظهارُ شيءٍ ليسَ فيهِ ، فلا يَنبغي للمتحقِّقِ ذٰلكَ ، والصَّحيحُ جوازُهُ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱبْكُوا ؛ فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا . . فَتَبَاكَوا »[1]

والوَجدُ : ما يَرِدُ علىٰ قلبِك بغيرِ تكلُّفٍ مِن طَرَبٍ .

والوَجدُ مِن ثَمَرةِ الأورادِ ؛ فمَنْ كانَتْ أورادُهُ في الطَّاعاتِ أكثرَ . . يكونُ وَجْدُهُ أكثرَ .

والوجودُ : عبارةٌ عن ثُبوتِ سُلطانِ الحقيقةِ في قلبِ الرَّجُلِ ، وهٰذا لا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٦) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

يكونُ إلَّا بعدَ زوالِ صفاتِ البشريَّةِ عن قلبِهِ ؛ لأنَّ صفاتِ البَشريَّةِ ـ مِنَ الغَفلةِ ، والشَّهوةِ ، وحبِّ شيءٍ سوى اللهِ تعالىٰ ـ تُناقِضُ الحقيقةَ .

وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمهُ اللهُ[1] : التَّواجُدُ يُوجِبُ استِيعابَ العبدِ ، والوَجدُ يُوجِبُ استغراقَ العبدِ ، والوجودُ يُوجِبُ استهلاكَ العبدِ ، فهو كمَن شَهِدَ البحرَ ، ثمَّ رَكِبَ ، ثمَّ غَرِقَ في البحرِ .

وترتيبُ هٰذا الأمرِ فُصودٌ ، ثمَّ ورودٌ ، ثمَّ شُهودٌ ، ثمَّ وُجودٌ ، ثمَّ خمودٌ ، وبمقدارِ الوجودِ يحصلُ الخمودُ ، وصاحبُ الوجودِ لهُ صَحوٌ ومَحوٌ ؛ فحالُ صَحوِهِ بقاؤهُ بالحقِّ ، وحالُ مَحوِهِ فَناؤهُ بالحقِّ ، فهاتانِ الحالتانِ أبداً مُتعاقبتانِ عليهِ ، فإذا غلبَ عليهِ الصَّحوُ . . فبالحقِّ يَصولُ ، وبهِ يقولُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما أخبرَ عنِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ : « فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ »[2] .

ومنها : الجمعُ والفَرقُ وجمعُ الجمعِ والفَرقُ الثَّاني :

أمَّا الجمعُ : فهو ما يكونُ مِن قِبَلِ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ؛ مِن إظهارِ فَهمٍ ومعنىً في القلبِ ، وابتداءِ لُطفٍ وتوفيقٍ .

والفرقُ : ما يكونُ مِن قِبَلِ العبدِ ؛ مِنْ أداءِ العبوديَّةِ والسُّؤالِ .

ولا بدَّ للعبدِ مِنَ الجمعِ والفَرقِ ؛ فإنَّ مَنْ لا فرقَ لهُ . . لا عبوديَّةَ لهُ ، ومَن لا جمعَ لهُ . . لا مَعرفةَ لهُ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إشارةٌ إلى الفَرقِ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] إشارةٌ إلى الجمعِ ، وإذا خاطبَ العبدُ الحقَّ بلسانِ نَجواهُ ـ إمَّا

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٤٧) .

(٢) انظر « فتح الباري » (١١/٣٤٤) والحديث أخرجه البخاريُّ (٦٥٠٢) مِن حديثِ سيدنا أبي هريرةَ رضي الله عنه ، بلفظِ : « كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

(٣) سورة الفاتحة : (٥) .

سائلاً أو داعياً أو مُثنِياً أو شاكراً أو متضرِّعاً ـ . . قامَ في مَحَلِّ التَّفرِقةِ ، وإذا أصغَىٰ بسرِّه إلىٰ ما بهِ يُناجيه ربُّهُ ويُجِيبُهُ فيما دعاهُ ويُخاطِبُهُ بأمرٍ أو نهيٍ . . فهو في مَقامِ الجَمعِ .

وأمَّا جمعُ الجَمعِ : فهو ألَّا يرىٰ سوى اللهِ تعالىٰ .

فالتَّفرِقةُ : شُهودُ الأغيارِ للهِ تعالىٰ ؛ يَعني : يرىٰ عبادةَ العبادِ للهِ تعالىٰ .

والجمعُ : شُهودُ الأغيارِ باللهِ تعالىٰ ؛ يعني : يرى العبادةَ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ .

وجمعُ الجمعِ : الِاستهلاكُ بالكلِّيَّةِ ؛ يعني يَغيبُ عمَّا سوى اللهِ تعالىٰ .

وأمَّا الفرقُ الثَّاني : فهو أن يُرَدَّ الرَّجُلُ مِن حالِ المحوِ إلىٰ حالِ الصَّحوِ في وقتِ أداءِ الفرائضِ ؛ لِيُؤدِّيَ الفرائضَ ، وهـٰذا لُطفٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

ومنها : الفَناءُ والبَقاءُ :

الفَناءُ : أنْ تَفنى الخِصالُ المذمومةُ عنِ الرَّجُلِ .

والبقاءُ : أنْ تَبقىٰ وتَثبُتَ الخِصالُ المحمودةُ في الرَّجُلِ .

والسَّالكونَ يَتفاوتونَ في الفَناءِ والبقاءِ ؛ فبعضُهُم فَنِيَ عنْ شَهوتِهِ ؛ يعني : ما تَشتَهِيهِ مِنَ الدُّنيا ؛ فإذا فَنِيَتْ شهوتُهُ . . بَقِيَت فيه نِيَّتُهُ وإخلاصُهُ في عُبوديَّتِهِ ، ومَنْ فَنِيَ عن أَخلاقِهِ المذمومةِ ـ كالحسدِ والكِبرِ والبُغضِ ، وغيرِ ذٰلكَ ـ بَقِيَ بالفُتوَّةِ والصِّدقِ .

فالخِصالُ المذمومةُ والمحمودةُ ضِدَّانِ ؛ إذا فَنِيَ الرَّجُلُ عن أحدِهِما . . بَقِيَ بضِدِّه .

ومنها : الغَيبةُ والحضورُ :

فالغَيبةُ : أن يَغِيبَ الرجلُ السَّالكُ عن أحوالِ الدُّنيا .

والحضورُ : أن يَحضُرَ بأحوالِ الآخرةِ ؛ كما رُوِيَ عن عليِّ بنِ الحُسين

رضيَ اللهُ عنهما أنَّهُ وَقَعَ حريقٌ في دارِهِ وهو في سُجودِهِ ، فلم يَرفَعْ رأسَهُ ، فلما طُفِئَتِ النَّارُ . . رفعَ رأسَهُ ، فقيلَ لهُ : لِمَ بَقِيتَ على السُّجودِ في هٰذه الحالةِ ؟! فقالَ : أَلهَتني النَّارُ الكُبرىٰ عن هٰذه النَّارِ[1] .

ورُبَّما يَحضُرُ الرَّجُلُ بمُكاشَفةٍ ومُناجاةٍ مع اللهِ ، فيَغِيبُ عنِ الإحساسِ ، حتَّىٰ لو أدخَلَ يدَه في النَّارِ لم يُحِسَّ ألَماً .

ومنها : السُّكْرُ والصَّحْوُ :

والسُّكْرُ : يُشبِهُ الغَيبةَ ، والصَّحْوُ : الرُّجوعُ عنِ السُّكْرِ إلى الإحساسِ .

فالغَيبةُ تكونُ للمُبتَدِئينَ في السُّلوكِ ، وللمُنتهينَ السُّكرُ ، والسُّكرُ لا يكونُ إلَّا لأصحابِ المواجيدِ ؛ وهو أنْ يَرِدَ مِنَ اللهِ تعالىٰ واردٌ في قلبِهِ فيَسكَرُ ، فإذا كُوشِفَ الرَّجُلُ بِنَعتِ الجمالِ . . حصلَ السُّكْرُ وطَرِبَ الرُّوحُ وهامَ القلبُ .

ومنها الذَّوقُ والشُّربُ :

ويُعبِّرونَ بذٰلكَ عمَّا يَجِدُونهُ مِن ثَمَراتِ التَّجلِّي ونتائجِ [الكشوفاتِ][2] ، وأوَّلُ ذٰلكَ الذَّوقُ ، ثمَّ الشُّربُ ، ثمَّ الرِّيُّ .

فصَفاءُ مُعامَلاتِهم يُوجِبُ لهم ذَوقَ المعاني ، ووَفاءُ مُنازَلاتِهم يُوجِبُ لهمُ الشُّربَ ، ودوامُ مُواصَلاتِهم يُوجِبُ لهم الرِّيَّ ، فصاحبُ الذَّوقِ مُتساكِرٌ ؛ يعني : في أوَّلِ السُّكرِ ، وصاحبُ الشُّرْبِ سَكرانُ ، وصاحبُ الرِّيِّ صاحٍ . فمِثالُهُ : العَطشانُ ، فمَنْ بهِ قليلٌ مِنَ العَطَشِ . . فهو صاحبُ الذَّوقِ ، ومَنْ بهِ عَطَشٌ كثيرٌ . . فهو صاحبُ الشُّربِ ، يَشْرَبُ ، فإذا رَوِيَ وأخَذَ حظَّهُ . . صحا[3] مِنَ الشُّربِ ، وزالَ جِرصُهُ وقَلَقُهُ الَّذي بهِ مِنَ العَطَشِ ، فهو صاحبُ رِيٍّ ، وهو صاحبُ صَحْوٍ .

---

(١) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٤٥٨/٤) .

(٢) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٢٦٣) ، وفي (أ) : (المكشوفات) ، وفي (ب) : (التشوفات) .

(٣) في الأصل : (صاح) .

ومنها المحوُ والإثباتُ :

فالمحوُ : رفعُ العاداتِ .

والإثباتُ : إقامةُ أحكامِ العباداتِ .

وينقسمُ المحوُ إلىٰ : محوِ الزَّلةِ عن الظَّواهرِ ، ومحوِ الغَفلةِ عن الضَّمائرِ ، ومحوِ العلَّةِ عن السَّرائرِ ؛ ففي محوِ الزَّلةِ إثباتُ المعاملاتِ ، وفي محوِ الغَفلةِ إثباتُ المُنازَلاتِ ، وفي محوِ العلَّةِ إثباتُ المواصلاتِ .

والمَحقُ يشبهُ المحوَ ، ولٰكنَّ المحقَ فوقَ المحوِ ؛ لأنَّ المحوَ يُبقِي أثراً ، والمحقُ لا يُبقي أثراً .

ومنها : السَّترُ والتجلِّي :

فالتجلِّي : نورٌ ومكاشَفةٌ مِن اللهِ تعالىٰ يظهرُ في قلبِ العارفِ ، يَدهَشُهُ ويُحرِقُهُ .

والسَّترُ : أنْ يزولَ عنهُ ذٰلكَ التجلِّي ؛ كي لا يحترقَ ويضمحلَّ في نورِ التجلِّي .

فالسَّترُ رحمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ للعارفِ ، كما أنَّ التجلِّي منهُ فضلٌ وقُربةٌ .

ومنها : المُحاضرةُ والمُكاشفةُ والمشاهَدةُ :

والمحاضرةُ ابتداءٌ ، والمكاشفةُ بعدَهُ ، ثم المُشاهدةُ .

والمحاضرةُ : حضورُ القلبِ ، وقدْ يكونُ بتواترِ البرهانِ ، وهو بعدُ وراءَ السِّترِ ؛ بأنْ كانَ حاضراً باستيلاءِ سُلطانِ الذِّكرِ ، ثم بعدَهُ المُكاشفةُ ؛ وهو : حضورُهُ بنعتِ البيانِ غيرَ مُفتقرٍ في هٰذه الحالةِ لتأمُّلِ الدَّليلِ وتطلُّبِ السَّبيلِ ، ثم المشاهدةُ ؛ وهي : وجودُ الحقِّ من غيرِ بقاءِ تُهمةٍ ، وإذا صَحا سماءُ السرِّ عن غُيومِ السَّترِ . . فشمسُ الشهودِ مُشرقةٌ عن بُرجِ الشَّرفِ .

ومنها اللَّوائحُ واللَّوامعُ والطَّوالعُ :

فالأوَّلُ : اللَّوائحُ ، ثمَّ اللَّوامعُ ، ثمَّ الطَّوالعُ ؛ فاللَّوائحُ : كالبرقِ يظهرُ ويزولُ سريعاً ، واللوامعُ : أظهرُ من اللوائحِ ، وليسَ زوالُها بتلكَ السُّرعةِ ، وقدْ تبقىٰ وقتَينِ وثلاثةً ، والطَّوالعُ : أبقَىٰ وقتاً ، وأَقوىٰ سُلطاناً ، وأدومُ مُكثاً ، وأَذهبُ للظُّلمةِ .

ومنها البَوادِهُ والهُجومُ :

البَوادِهُ : ما يَفجَأُ قلبَكَ مِن الغيبِ علىٰ سبيلِ الوَهلةِ ؛ إمَّا مِنْ مُوجِبِ فرحٍ ، أو موجِبِ تَرَحٍ .

والهجومُ : ما يَرِدُ على القلبِ بقوَّةِ الوقتِ منْ غيرِ تَصنُّعٍ منكَ ، ويختلفُ في الأنواعِ علىٰ حَسَبِ قوَّةِ الواردِ وضَعفِهِ .

ومنها التَّلوينُ والتَّمكينُ :

التَّلوينُ : صفةُ أربابِ الأحوالِ ، والتَّمكينُ : صفةُ أهلِ الحقائقِ .

وما دامَ العبدُ في الطَّريقِ فهو صاحبُ تلوينٍ ؛ لأنَّه يرتقِي مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ .

والتمكينُ : أن يصلَ السَّالكُ إلى المَقصِدِ ، فإذا وصلَ إلى المَقصِدِ . . تمكَّنَ واستقرَّ في حالِهِ ؛ لأنَّهُ لا حالَ بعدَ تلكَ الحالِ ، وتلكَ الحالُ هي زوالُ البَشريَّةِ بالكُلِّيَّةِ ، وبقاءُ الحقيقةِ .

ومنها القُربُ والبُعدُ :

القُربُ : قُربُ العبدِ مِنَ اللهِ تعالىٰ بالطَّاعةِ ، والترقِّي مِنْ مَنزلٍ إلىٰ مَنزلٍ .

والبُعدُ : بُعدُ العبدِ عن طاعةِ اللهِ تعالىٰ ، والتدنُّسُ بمُخالفةٍ ، فأولُ البُعدِ بُعدُ العبدِ عن الطَّاعاتِ ، ثمَّ البُعدُ عن التحقيقِ .

ومنها : النَّفَس ـ بتحريكِ الفاءِ ـ :

وهو ترويحُ القلوبِ بلطائفِ الغيوبِ .

وصاحبُ الأنفاسِ أرقُّ وأصفَىٰ مِنْ صَاحبِ الأَحوالِ ، فكانَ صاحبُ الوقتِ مُبتدئاً ، وصاحبُ الأنفاسِ مُنتهياً ، وصاحبُ الأَحوالِ بينَهما ، فالأَوقاتُ بدايةُ السُّلوكِ ، والأَحوالُ وسَائطُ ، والأَنفاسُ نهايةُ التَّرقِّي .

فالأوقاتُ لصَاحبِ القلوبِ ، والأحوالُ لأَربابِ الأرواحِ ، والأنفاسُ لأهلِ السَّرائرِ .

وقالوا : أفضلُ العباداتِ عدُّ الأنفاسِ معَ اللهِ تعالىٰ .

وقالَ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمة الله عليه : (العارفُ لا يسلمُ إليهِ النَّفَسُ ؛ لأنَّهُ لا مسامحةَ تجري معَهُ ، والمحبُّ لا بدَّ لهُ من نَفَسٍ ؛ إذْ لولا أنْ يكونَ لهُ نَفَسٌ . . لَتَلاشىٰ ؛ لعَدمِ طَاقتِه)[1]

ومنها الخواطرُ :

فالخواطرُ : خطابٌ يَرِدُ على الضَّمائرِ ؛ فقدْ يكونُ بإلقاءِ مَلَكٍ ، وقدْ يكونُ بإلقاءِ شيطانٍ ، وقدْ يكونُ أحاديثَ النَّفْسِ ، وقدْ يكونُ مِنْ قِبَلِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ .

فإذا كانَ من قِبَلِ المَلَكِ . . فهو إلهامٌ ، وإذا كانَ من قِبَلِ الشَّيطانِ . . فهو وسواسٌ ، وإذا كانَ من قِبَلِ النَّفْسِ . . فهو هواجسُ ، وإذا كانَ من قِبَلِ اللهِ تعالىٰ وإلقائِهِ في القَلبِ . . فهو خاطرُ حقٍّ .

ومنها علمُ اليقينِ وعَينُ اليقينِ وحقُّ اليقينِ :

فعلمُ اليقينِ علىٰ مُوجَبِ اصطِلاحِهم : ما كانَ بشرطِ البُرهانِ ، وعينُ اليقينِ :

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٢٨٣) ، وفيها : (يسلم له) بدل (يسلم إليه) .

ما كانَ بحُكمِ البيانِ ، وحقُّ اليقينِ : ما كانَ بنعتِ العِيانِ ؛ فعلمُ اليقينِ لأربابِ العقولِ ، وعينُ اليقينِ لأَصحابِ العلومِ ، وحقُّ اليقينِ لأصحابِ المعارفِ .

ومنها الواردُ :

والواردُ : ما يَرِدُ على القلوبِ من الخَواطرِ المحمودةِ ممَّا لا يكونُ بتعمُّدِ العبدِ ، وكذلكَ ما لا يكونُ من قِبَلِ الخواطرِ فهو أيضاً وارِدٌ .

ثمَّ يكونُ وارِدٌ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ووارِدٌ مِنَ العلمِ ، فالوارداتُ أعمُّ مِنَ الخواطرِ ؛ لأنَّ الخواطرَ تختصُّ بنوعِ الخطابِ أو ما يتضمَّنُ معناهُ ، والوارداتُ لا تختصُّ بهِ ، ثمَّ الوارِدُ قدْ يكونُ واردَ سُرورٍ وواردَ حُزنٍ ، وواردَ قَبضٍ وواردَ بَسطٍ ، وغيرَ ذٰلك مِنَ المعاني .

ومنها لفظ الشَّاهدِ :

ويُريدون بلفظِ الشَّاهدِ : ما يكونُ حاضرَ قَلبِ الإنسانِ ، وهو ما كانَ الغالبَ عليه ، إنْ كانَ الغالبُ عليهِ ذِكراً . . فهو شاهدُهُ ، وإنْ كانَ الغالبُ عليهِ العِلمَ . . فهو بشاهِدِ العِلمِ ، وإنْ كانَ الغالبُ عليهِ الوَجدَ . . يُقالُ : إنه بشاهِدِ الوَجدِ .

ومعنى الشَّاهدِ : الحاضرُ ، وكلُّ ما هو حاضرٌ قَلبَكَ فهو شاهدُكَ .

ومنها : النَّفْسُ ـ بتسكين الفاءِ ـ :

ويُريدون بالنَّفْسِ : ما في العبدِ مِنَ الأخلاقِ والخِصالِ المذمومةِ ، وأَقبَحُها : إعجابُها ، وتَوَهُّمُها أنَّ لها قَدْراً عندَ اللهِ أو عندَ النَّاسِ .

ويُحتمَلُ أن يُقالَ : النَّفسُ ليسَ عَينَ الأخلاقِ والخصالِ المذمومةِ ، بلْ هي لطيفةٌ مُودَعةٌ في هٰذا القالبِ ، وهي محَلُّ الأَخلاقِ المذمومةِ ، كما أنَّ الرُّوحَ لطيفةٌ مُودَعةٌ في هٰذا القالبِ ، وهي محَلُّ الأَخلاقِ المحمودةِ .

ومنها الرُّوحُ :

والأرواحُ مُختلَفٌ فيها عندَ أهلِ الحقيقةِ من أهلِ السُّنَّةِ ؛ فمنهم مَن يقولُ : إنَّها الحياةُ فقطْ .

ومنهم مَن يقولُ : إنَّها أعيانٌ لطيفةٌ مُودَعةٌ في هٰذه القوالبِ ، أَجرى اللهُ تعالى العادةَ بخَلقِ الحياةِ في هٰذه القوالبِ ما دامتِ الأرواحُ في الأبدانِ .

والإنسانُ حيٌّ بالحياةِ ، ولٰكنَّ الأرواحَ مُودَعةٌ في القوالبِ ، ولها ترَقٍّ في حالِ النَّومِ ، ومُفارقةٌ للبَدَنِ ثمَّ رجوعٌ إليها .

وإنَّ الإنسانَ هو الرُّوحُ والجسدُ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ سخَّرَ هٰذه الجملةَ بعضَها لبعضٍ ، والحشرُ يكونُ للجُملةِ ، والمُثابُ والمُعاقَبُ الجملةُ .

والأرواحُ مخلوقةٌ ، ومَن قالَ بقِدَمِها . . فهو مخطئٌ خطأً عظيماً .

وقيلَ : الرُّوحُ مَعدِنُ الخيرِ ، والنَّفسُ مَعدِنُ الشرِّ ، والعقلُ جيشُ الرُّوحِ ، والهوىٰ جيشُ النَّفْسِ ، والتَّوفيقُ مِنَ اللهِ تعالىٰ مَدَدُ الرُّوحِ ، والخِذلانُ مَددُ النَّفسِ ، والقلبُ في أغلبِ الجيشَينِ .

ومنها السِّرُّ وسرُّ السِّرِّ :

يحتملُ أنَّ السِّرَّ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القالبِ كالأرواحِ ؛ وهو محَلُّ المشاهدةِ ، كما أنَّ الأرواحَ محَلُّ المحبَّةِ ، والقلوبَ محَلُّ المعارفِ .

وقالوا : إنَّ السرَّ ما لكَ عليهِ إشرافٌ ، وسرُّ السِّرِّ : ما لا اطِّلاعَ عليهِ لغيرِ الحقِّ ، والسرُّ ألطفُ من الرُّوحِ ، والرُّوحُ أشرفُ من القَلبِ .

ويقالُ : صدورُ الأحرارِ قُبورُ الأسرارِ ، واللهُ أعلمُ .

باب التوبة

التَّوبةُ : أوَّلُ مَنزِلٍ مِن مَنازِلِ السَّالكين ، وأوَّلُ مَقامٍ مِن مَقاماتِ الطَّالِبينَ .

وحقيقةُ التَّوبةِ في اللغةِ : الرجوعُ .

والمرادُ بها في الشَّرعِ : الرُّجوعُ عمَّا لا يرضاهُ اللهُ .

وللتوبةِ ثلاثُ شرائطَ : الندامةُ علىٰ ما عَمِلَ من المعاصي ، وتركُ الزَّلَّةِ في الحالِ ، والعزمُ علىٰ ألَّا يعودَ إليها أبداً .

فمَن تابَ ثمَّ اتَّفقَ نقضُ توبتِهِ ، ثم تابَ . . قُبِلَتْ توبتُه ثانياً وثالثاً . . . إلىٰ غيرِ نهايةٍ ، ما دامَتْ لتَوبتِهِ الشُّروطُ الثلاثةُ المذكورةُ .

ورُوِيَ أنَّ بعضَ المُريدين تابَ ، ثمَّ وقعَتْ لهُ فَترةٌ ، وكانَ يتفكَّرُ وقتاً لو عادَ إلى التَّوبةِ . . كيفَ حُكمُهُ ؟ فهتفَ بهِ هاتفٌ : يا أبا فُلان ؛ أَطَعتنا فشكرناكَ ، ثمَّ تَرَكتَنا فأمهَلناكَ ، فإن عُدتَ إلينا . . قَبِلناك[1]

ورُوِيَ أنَّ رجلاً سألَ أميرَ المؤمنينَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الرَّجُلِ يُذنبُ ثمَّ يستغفرُ ، ثمَّ يُذنبُ ثمَّ يستغفرُ ، فقالَ أميرُ المؤمنينَ : يستغفرُ أبداً ، حتىٰ يكونَ الشَّيطانُ هو الخاسِرَ ، فيقولَ : لا طَاقةَ لي معَهُ[2] .

---

(١) أخرجها القشيري في « الرسالة » (ص ٢٩٩) .

(٢) أورده الرازي في « مفاتيح الغيب » (٤٦٨/٣) .

باب المجاهدة

المجاهدةُ : فَطمُ النَّفسِ عن المألوفاتِ ، وحملُها على خلافِ هَواهَا في عمومِ الأوقاتِ .

قيلَ : بُنِيَ هٰذا الأمرُ على ثلاثةِ أشياءَ : ألَّا يأكلَ إلَّا عندَ الفاقةِ ؛ يَعني : عندَ شدَّةِ الجوعِ ، ولا يَتكلَّمَ إلَّا عندَ الضَّرورةِ ، ولا ينامَ إلَّا عندَ غَلَبةِ النَّومِ[1] .

قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمه الله تعالىٰ : (لنْ ينالَ الرَّجُلُ درَجةَ الصَّالحينَ حتىٰ يُجاوِزَ ويقطعَ سِتَّ عَقَباتٍ : أولُها : يُغلِقُ بابَ النِّعمةِ ويفتحُ بابَ الشِّدَّةِ ، والثَّاني : يُغلِقُ بابَ العزِّ ويفتحُ بابَ الذُّلِّ ، والثالثُ : يُغلِقُ بابَ الرَّاحةِ ويفتحُ بابَ الجُهدِ ، والرَّابعُ : يُغلِقُ بابَ النَّومِ ويفتحُ بابَ اليقظةِ ، والخامسُ : يُغلقُ بابَ الغِنىٰ ويفتحُ بابَ الفقرِ ، والسَّادسُ : يُغلِقُ بابَ الأملِ ويفتحُ بابَ الاستعدادِ)[2]

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٣٠٧) عن الحسن القزاز .

(٢) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٩٧) .

باب العزلة والخلوة

ولا بُد للمُريدِ في ابتداءِ حالِهِ مِنَ العُزلةِ عن أبناءِ جِنسِهِ ، ثمَّ في نهايتِهِ مِنَ الخَلوةِ لتحقُّقه بأُنسِهِ ، ومِنْ حقِّ المُريدِ إذا آثَرَ العُزلةَ أنْ يعتقدَ باعتزالِهِ عن الخَلقِ سَلامةَ النَّاسِ مِنْ شرِّهِ ، ولا يَقصِدَ سلامتَهُ مِنْ شرِّ الخَلقِ ؛ فإنَّ الأولَ من القِسمَينِ استصغارُ نفسِهِ ، والثَّاني شهودُ مَزيَّتِهِ على الخَلقِ ، ومَن استصغرَ نفسَهُ . . فهو متواضِعٌ ، ومَن رأىٰ لنفسِهِ مَزيَّةً علىٰ أحدٍ . . فهو مُتكبِّرٌ .

رُوِيَ أنَّه قيلَ لرُهبانٍ : إنَّكَ راهبٌ ؟ فقالَ : لا ، أنا حارسُ كلبٍ ، إنَّ نفسي كَلبٌ عقورٌ يَعقِرُ الخَلقَ ، أخرجتُها مِن بينِهم لِيَسلَموا منها[1] .

ومِنْ آدابِ العُزلةِ : أنْ يُحصِّلَ مِنَ العلومِ ما يصحُّ بِهِ اعتقادُهُ ؛ لكيلا يُوقِعَهُ الشيطانُ بوسواسِهِ في البدعةِ ، ثمَّ يُحصِّلَ مِنْ علومِ الشَّرعِ ما يؤدِّي بِهِ فَرضَهُ ؛ ليكونَ بناءُ أمرِهِ علىٰ أساسٍ مُحكَمٍ .

والعزلةُ في الحقيقةِ : اعتزالٌ عن الخصالِ المذمومةِ .

قالَ أبو عثمان المغربيّ : (مَنِ اختارَ الخَلوةَ على الصُّحبةِ . . ينبغي أن يكونَ خالياً عن جميعِ الأَذكارِ إلَّا ذِكرَ ربِّه ، وخالياً عن جميعِ الإراداتِ إلَّا رِضاءَ اللهِ ، وخالياً عن مُطالبةِ النَّفسِ مِنْ جميعِ الأسبابِ ؛ فإنْ لمْ يكُنِ الرَّجُلُ بهٰذه الصِّفةِ . . فإنَّ خَلوتَهُ تُوقِعُهُ في فتنةٍ أو بليةٍ)[2] .

---

(١) كذا في « رسالة القشيري » (ص ٣١٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٦) .

باب التقوى

وحقيقةُ الاتِّقاءِ : التَّحرُّزُ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ عن عقوبتِهِ .

وأصلُ التَّقوى : اتِّقاءُ الشِّركِ ، ثم بعدُه اتقاءُ المعاصي ، ثم بعدُه اتقاءُ الشُّبُهاتِ ، ثم يَدَعَ بعدَه الفَضَلاتِ .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذباريُّ : (التقوىٰ : مجانبةُ ما يُبعِدُك عن اللهِ تعالىٰ)[1] .

قيلَ : إنَّ أبا يزيد غَسَلَ ثوبَهُ في الصَّحراءِ معَ صاحبٍ لهُ ، فقالَ صاحبُهُ : نُعلِّقُ الثيابَ مِنْ جدارِ القَومِ ؟ فقالَ : لا تَغرِزِ الوَتِدَ في جِدارِ النَّاسِ ، فقالَ : نُعلِّقُهُ مِنَ الشَّجرِ ؟ فقالَ : لا ؛ إنَّهُ يكسرُ الأَغصانَ ، فقالَ : نَبسُطُه على الأرضِ بحشيشٍ ؟ فقالَ : لا ؛ إنَّهُ علفُ الدَّوابِّ ؛ لا نَستُرُهُ عنها ، فولَّىٰ ظهرَهُ إلى الشَّمسِ ، وألقَى القَميصَ علىٰ ظهرِهِ حتَّىٰ جَفَّ جانبٌ ، ثمَّ قَلَبَهُ حتَّىٰ جفَّ الجانبُ الآخَرُ[2] .

والوَرَعُ والزُّهدُ نوعانِ مِنَ التَّقوىٰ .

فالوَرَعُ : تركُ الشُّبُهاتِ .

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرَّازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الورَعُ : الوقوفُ علىٰ حَدِّ العلمِ مِنْ غيرِ تأويلٍ)[3] ؛ يعني : تركَ الرُّخَصِ ، والعملَ بما هو أقربُ إلىٰ رِضا اللهِ تعالىٰ .

---

(١) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٣٤٧) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٢) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٨) .

مِثالُهُ : جاءَ في الحديثِ تحريمُ لحمِ الضَّبُعِ[1] ، وجاءَ في حديثٍ آخَرَ تحليلُهُ[2] ؛ فخُذْ بتحريمِهِ .

وجاءَ في حديثٍ يَنتَقِضُ الوضوءُ بلمسِ المرأةِ ، وجاء حديثٌ آخَرُ بأنَّهُ لا يَنتقِضُ الوضوءُ بلَمسِها ؛ فخُذْ بانتقاضِ الوضوءِ بلَمسِها احتياطاً ؛ لأنَّ الصُّوفيَّ لا مذهبَ لهُ ، بلْ مذهبُهُ ما هو الأَحوَطُ .

والزُّهدُ : قيل : تركُ مالِ الحرامِ ، وقيلَ : بلْ تركُ مالِ الحلالِ ؛ لأنَّ تركَ الحرامِ فرضٌ ، والزُّهدُ الرَّغبةُ عن الدُّنيا ، والرَّغبةُ عن الدُّنيا إنَّما تكونُ بتركِ الحلالاتِ والمُباحاتِ ، إلَّا قدرَ الضَّرورةِ .

---

(١) أخرج ابن المبارك في « المسند » (١٨٨) عن عبد الله بن يزيد السعدي ، قال : سألت سعيد بن المسيب عن الضبع ؟ فقال : إن أكلها لا يصلح ، وهل يأكلها أحد ؟ قلت : إن ناساً من قومي ليتحملونها فيأكلونها ، فقال : إن أكلها لا يصلح ، فقال شيخ عنده : إن شئت . . حدثتك ما سمعت أبا الدرداء يقول ؛ سمعته يقول : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل نُهبة ، وعن كل خطفة ، وعن كل مجثمة ، وعن كل ذي ناب من السباع ، فقال سعيد بن المسيب : صدقت .

(٢) أخرج الشافعي في « المسند » (١٥٠٨ ـ ترتيب سنجر) عن ابن أبي عمار ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الضبع أصيد هي ؟ قال : نعم . فقلت : أتؤكل ؟ قال : نعم . فقلت : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .

باب الصمت

والصَّمتُ على نوعين : صمتٌ عن كلامِ اللسانِ ، وصمتٌ عن كلامِ القلبِ .

فالأولُ ضَربان : واجبٌ ومستحبٌّ ؛ فالواجبُ : الصَّمتُ عن كلامٍ مَنهيٍّ ، والمستحبُّ : الصمتُ عن كلامٍ مباحٍ ، وقالَ النبيُّ عليهِ السَّلامُ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[1] ؛ يعني : ما لا ضَرورةَ لهُ فيهِ .

والصَّمتُ عن كلامٍ فيهِ خيرٌ . . معصيةٌ ؛ مِثلُ الصَّمتِ عن الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ ، وتعليمِ النَّاسِ أحكامَ الدِّينِ ، وغيرِ ذٰلك .

وأمَّا الصَّمتُ عن كلامِ القلبِ . . فنوعانِ أيضاً : واجبٌ ومُستحبٌّ ؛ فالواجبُ : هو تركُ ظنِّ السَّوءِ في حقِّ المسلمِ ، وتركُ اعتقادِ البدعةِ ، والمُستحبُّ : هو أن يُصَمِّتَ نفسَهُ عن طَلبِ الدُّنيا وطَلبِ الجاهِ وطَلبِ الرِّزقِ في حقِّ المتوكِّلِ ، وعنِ الاعتراضِ على اللهِ تعالىٰ بما يَجري عليه مِنَ القضاءِ والقَدَرِ في حقِّ العارفِ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

باب الخوف والرجاء

والخوفُ : تركُ معصيةِ اللهِ ؛ مخافةَ عقابِ اللهِ تعالىٰ .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ الله عنهُ : (إنَّ المؤمنَ لا يَطمئِنُّ قلبُه ولا تَسكُنُ رَوعتُه حتىٰ يُخلِّفَ جسرَ جهنَّمَ)[1] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مِسكينٌ ابنُ آدمَ ؛ لو خافَ مِنَ النَّارَ كما يخافُ مِنَ الفقرِ . . لَدَخَلَ الجنَّةَ)[2] .

والرجاءُ : حُسنُ الطَّاعةِ ؛ طمعاً في نَيلِ الثَّوابِ .

قيلَ : الرَّجاءُ ثلاثةٌ : أن يعمَلَ الرَّجُلُ حَسنةً فيَرجُوَ قَبُولَها ، وأن يَعمَلَ الرَّجُلُ سيِّئةً ثم تابَ فيرجوَ المغفرةَ ، والثالثُ الرَّجاءُ الكاذبُ ؛ وهو أن يَتمادَىٰ في الذُّنوبِ ويقولَ : أَرجُو المغفرةَ .

ومَن عَرَفَ نفسَهُ بالإساءةِ . . ينبغي أن يكونَ خوفُهُ غالباً علىٰ رجائِهِ ، والخوفُ والرَّجاءُ مِنْ شروطِ الإيمانِ ، ومَن زالَ عنهُ الخوفُ والرَّجاءُ . . كافرٌ ، نعوذُ باللهِ مِن ذٰلكَ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٥١) من قول سيدنا معاذٍ رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١٩٢٧٠) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٣٥٤٠) من وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذٍ رضي الله عنه .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٥١) .

باب الحزن

قالَ الشَّيخُ أبو عبدِ اللهِ بنُ خفيفٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الحُزنُ : حَصرُ النَّفسِ عنِ النُّهوضِ في الطَّرَبِ)[1]

وقال : سَمِعَتْ رابعةُ رَجُلاً يقولُ : واحُزناهْ ، فقالَتْ : قلْ : وَاقِلَّةَ حُزناهْ ، ولو كنتَ محزوناً . . لم يتهيَّأْ لكَ أنْ تتنفَّسَ[2] .

وقالَ سفيانُ الثَّوريُّ رحمةُ اللهِ عليه : (لو أنَّ محزوناً بكَىٰ في أمَّةٍ . . لَرَحِمَ اللهُ تلكَ الأمَّةَ ببكائِهِ)[3] .

والحُزنُ المحمودُ : هو حُزنُ الآخِرةِ ، والنَّدامةُ على الذُّنوبِ .

فأمَّا حُزنُ الدُّنيا : فغيرُ محمودٍ عندَ المشايخِ ، إلَّا أبا عثمانَ الحِيريَّ ؛ فإنَّهُ قالَ : (الحُزنُ بكلِّ وجهٍ فضيلةٌ وزيادةٌ للمؤمنِ ، ما لمْ يكُن بسببِ معصيةٍ ؛ لأنَّهُ وإنْ لمْ يُوجِبْ تخصيصاً فإنَّهُ يُوجِبُ تمحيصاً ـ يعني : تطهيراً ـ مِنَ الذُّنوبِ)[4]

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٦٩) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٦٩) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٦٩) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٠) .

باب الجوع وترك الشهوة

والجوعُ : أحدُ أركانِ المُجاهَداتِ ، وفيهِ تصفيةُ القلبِ ، وكسرُ النَّفسِ عن الشَّهوةِ ، وهو شِعارُ الأنبياءِ والأَولياءِ .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ الرَّازيُّ : (لو كانَ الجوعُ يُباعُ في السُّوقِ . . لَما كانَ ينبغي لطُلابِ الآخرةِ إذا دخلوا السُّوقَ أن يَشتَرُوا غيرَهُ)[1] .

قالَ سهلُ بنُ عبد الله : (لمَّا خلقَ اللهُ تعالى الدُّنيا . . جعلَ في الشِّبَعِ المعصيةَ والجهلَ ، وجَعَلَ في الجُوعِ العِلمَ والحِكمةَ)[2] .

وقال يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ : (الجوعُ للمُريدين رِياضةٌ ، وللتَّائبين تَجربةٌ ، وللزُّهَّادِ سِياسةٌ ، وللعارِفين مَكرُمةٌ)[3] .

قيلَ : أدبُ الجوعِ ألَّا يَنقُصَ مِن عادَتِهِ إلَّا مِثلُ أُذُنِ السِّنَّورِ[4] .

كذلكَ يَنقُصُ كلَّ يومٍ أو يومينِ مِثلُ ذلكَ حتىٰ لا تقلَّ قوَّتُهُ ، فإن نَقَصَ عن قُوتِهِ المُعتادِ قَدراً كثيراً دَفعةً واحدةً . . يضرُّهُ الجوعُ ولا ينفعُهُ .

وقيل لسهلِ بنِ عبدِ اللهِ : الرَّجُلُ يأكلُ في اليومِ أكلةً واحدةً ؟ فقالَ : أكلُ الصدِّيقينَ ، قالَ : فأكلتَينِ ؟ قالَ : أكلُ المؤمنينَ ، قالَ : فثلاثةٌ ؟ قالَ : قُلْ لأَهلِكَ يَبنوا لكَ مَعْلَفاً[5] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٣) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٣) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٣) .

(٤) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٣) من قول أحمد بن محمد بن سالم .

(٥) أخرجه القُشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٤) .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذباريُّ : (إذا قالَ الصُّوفيُّ بعدَ خمسةِ أيامٍ : إنِّي جائعٌ . . فألزِمُوهُ السُّوقَ ، ومُروهُ بالكَسبِ)[1] .

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٣٧٦) .

باب الخشوع

الخشوعُ : الانقيادُ للحقِّ .

والتَّواضُعُ : هو الاستسلامُ للحقِّ ، وتركُ الاعتراضِ على الحُكمِ .

وقالَ بعضُهم : الخشوعُ قيامُ القلبِ بين يَدَيِ الحقِّ بِهَمٍّ مجموعٍ .

وقالَ : خشوعُ القلبِ قَيدٌ للعيونِ عن النَّظرِ .

وقيلَ : مِنْ علاماتِ الخشوعِ للعبدِ أنَّه إذا غَضِبَ أو خُولِفَ أو رُدَّ عليهِ . . أنْ يستقبلَ ذٰلكَ بالقَبولِ .

ورأىٰ بعضُهم واحداً مُنقبِضَ الظَّاهرِ مُنكسِرَ الشَّاهدِ ، وقد زَوَىٰ مَنكِبَيهِ ، فقالَ له : يا فُلانُ ؛ الخشوعُ ها هنا ـ وأشارَ إلىٰ صَدرِهِ ـ لا ها هنا ، وأشارَ إلىٰ مَنكِبَيهِ[1] .

وقالَ بعضُهم : ليسَ الخشوعُ في الرِّقابِ ؛ إنَّما الخشوعُ في القلوبِ .

واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ .

---

(١) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٨٠) .

باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

مخالفةُ النَّفسِ أقوىٰ أَركانِ الوصولِ إلى اللهِ تعالىٰ .

والنَّفسُ ثلاثةٌ : مطمئنَّةٌ ولوَّامةٌ وأمَّارةٌ :

فالمطمئنَّةُ : هي الَّتي اطمأنَّت بطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، ولا تَطلُبُ مخالفةَ أمرِهِ .

واللوَّامةُ : هي التي تَلُومُ الرَّجُلَ على الذُّنوبِ وتَحمِلُهُ على التَّوبةِ والإنابةِ .

والأمَّارةُ : هي التي تأمرُهُ بالسُّوءِ ، وهي مُهلِكةٌ لصاحبِها ؛ فهي أعظمُ حُجُبٍ بينَ العبدِ وربِّهِ تعالىٰ .

سُئِلَ الجُنَيدُ رحمهُ اللهُ عن مُداواةِ النَّفسِ ؛ فقالَ : مُداواتُها مُخالفتُها[1] .

وسُئِلَ ابنُ عطاءٍ عن أَقربِ شيءٍ إلىٰ مَقتِ اللهِ تعالىٰ ؟ فقالَ : رؤيةُ النَّفسِ وأحوالِها ، وأشدُّ من ذٰلكَ : مطالعةُ أَغراضٍ علىٰ أفعالِها[2] .

أرادَ برؤيةِ النفسِ : أنْ يرى الرجلُ لنفسِهِ قَدراً أو عِزَّةً ، بل ينبغي أن يَحقِرَ نفسَهُ ، ولا يقبلَ منها شيئاً إلَّا ما يُوافِقُ رِضَا اللهِ تعالىٰ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٩٠) ، بنحوه .

(٢) أخرجه السلمي في « الفتوة » (ص ١٨) ، وفيه : (مطالبة الأعواض علىٰ أفعالها) ، وفي (ب) : (الأعراض علىٰ أفعاله) .

باب الحسد والغيبة

الحَسدُ : أنْ يطلبَ الرجُلُ زوالَ نعمةٍ كانَتْ عندَ أَحدٍ من المُسلمينَ .

والحسدُ أشدُّ شيءٍ يُبعِدُ صاحبَهُ عن اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّهُ لا يَرضىٰ بقضاءِ اللهِ تعالىٰ .

وقيل : الحسودُ لا يَسُودُ[1] .

وقيل : مِن علاماتِ الحاسدِ : أن يتملَّقَ إذا شَهِدَ ، ويغتابَ إذا غَابَ ، ويَشمَتَ بالمُصيبةِ إذا نزَلَتْ .

والغِبطةُ جائزةٌ ؛ وهي أنْ يرى الرجُلُ أَحداً في صَلاحٍ أو خَيرٍ أو مالٍ ؛ فيَتمنَّىٰ أنْ يكونَ مِثلَهُ من غيرِ أن يَتمنَّىٰ زَوالَ تلك النِّعمةِ عن ذٰلكَ الرَّجُلِ .

والغِيبةُ : أن يَذكُرَ رَجلاً في غَيبتِه بشيءٍ موجودٍ فيهِ ، لو سَمِعَ ذٰلكَ الرجُلُ .. لَكَرِهَه ، وإنْ ذَكَرَهُ بشيءٍ لم يكنْ فيهِ .. فهو بُهتانٌ ، والبُهتانُ أشدُّ مِنَ الغِيبةِ ، وكلاهما لا يرتفعانِ بالتَّوبةِ ، بل التَّوبةُ منهما أنْ يَستحِلَّ منهُ .

وقالَ عَوفٌ رحمهُ اللهُ : دَخلتُ على ابنِ سِيرينَ رحمهُ اللهُ ، فتناولتُ الحجَّاجَ ؛ يعني : اغتبتُه ، فقالَ ابنُ سِيرينَ : إنَّ اللهَ حَكَمٌ عَدلٌ ؛ فكما يأخُذُ مِنَ الحجَّاجِ .. يأخُذُ للحجَّاجِ منكَ ، وإنَّكَ إذا لَقِيتَ اللهَ غداً .. كانَ أَصغرُ ذَنبٍ أَصَبتَه أشدَّ عليكَ مِن أَعظمِ ذنبٍ أصابَهُ الحجَّاجُ[2] .

أرادَ بقولِهِ : (كما يأخُذُ مِنَ الحجَّاجِ .. يأخُذُ للحجَّاجِ منكَ) : أنَّك كما اغتبتَهُ اليومَ .. يأخذُ للحجَّاجِ مِنْ حَسناتِكَ يومَ القيامةِ ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) كُتب على حاشية (ب) : (أي : لا يصير سيداً) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٩٩) .

باب القناعة

القَناعةُ : الاكتفاءُ بالموجودِ ، وزوالُ الطَّمعِ عن المفقودِ .

وقيلَ : القَناعةُ : السُّكونُ عندَ عَدمِ المألوفاتِ .

وقيلَ : مَن كانَتْ قناعتُهُ سَمينةٌ . . طَابَتْ لهُ كلُّ مَرَقةٍ .

وقيلَ : مرَّ أبو حازمٍ بقصَّابٍ معَهُ لحمٌ سَمينٌ ، فقالَ : خُذهُ يا أبا حازمٍ ؛ فإنَّهُ سَمينٌ ، فقالَ : ليسَ معي درهمٌ ، فقالَ : أنا أُنظِرُكَ ، فقالَ : لَنَفسي أَحسَنُ نَظِرةً لي منكَ .

وقالَ ذو النُّونِ المِصريُّ : (مَن قَنَعَ . . استراحَ مِن أَهلِ زمانِهِ ، واستطالَ على أَقرانِهِ)[1] .

وقيلَ : مَن قَنَعَ . . استراحَ من الشُّغلِ ، واستطالَ على الكُلِّ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٠٥) .

باب التوكّل

التوكُّلُ : أن يَكِلَ الرَّجُلُ أمرَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ويرضَىٰ بما يجري عليهِ من قضاءِ اللهِ وقدرِهِ .

والتَّوكُّلُ محَلُّه القلبُ ، والحركةُ بالظاهرِ لا تُنافي توكُّلَ القلبِ بعدما تحقَّقَ العبدُ أنَّ التقديرَ من قِبَلِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وإنْ تعسَّرَ شيءٌ . . فبتقديرِهِ ، وإنِ اتَّفقَ شيءٌ . . فبتيسيرِه .

وشرطُ التوكُّلِ : ما قالَهُ أبو ترابٍ النَّخشبيُّ رحمهُ اللهُ ؛ وهو طرحُ البدنِ في العبوديَّةِ ، وتعلُّقُ القلبِ بالربوبيَّةِ ، والطمأنينةُ بالكفايةِ ؛ فإنْ أُعطِيَ . . شكرَ ، وإنْ مُنِعَ . . صبرَ[1] .

وكانَ إبراهيمُ الخواصُ رحمَهُ اللهُ مجرداً في التوكلِ ، وكانَ لا تُفارِقُه إبَرُهُ وخيوطُهُ وزَكوةٌ ومِقراضٌ ، فقيلَ لهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ لِمَ تحملُ هٰذا وأنتَ ممتنعٌ مِنْ كلِّ شيءٍ ؟ فقالَ : مِثلُ هٰذا لا يَنقُضُ التَّوكُّلَ ؛ لأنَّ للهِ تعالىٰ علينا فرائضَ ، والفقيرُ لا يكونُ عليهِ إلا ثوبٌ واحدٌ ، فربما يتخرَّقُ ، فإذا لمْ يكنْ معَهُ إبرةٌ وخيوطٌ . . تبدو عورتُه ، وتَفسُدُ عليهِ صلاتُهُ ، فإذا لمْ يكنْ معَهُ زَكوةٌ . . تَفسُدُ عليهِ طهارتُهُ ، وإذا رأيتَ فقيراً بلا زَكوةٍ ولا إبرةٍ ولا خيوطٍ . . فاتَّهِمهُ في صلاتِهِ[2] .

والمتوكِّلُ لو أُلقِيَ عندَ الأسدِ . . ينبغي ألَّا يخافَ منهُ ، ولوِ انقطعَ المطرُ سنينَ . . ينبغي ألا يَهتمَّ لأجلِ رزقِهِ ، ولٰكنْ يسألُ الرَّحمةَ مِنَ اللهِ تعالىٰ للنَّاسِ ؛ فإنَّ انقطاعَ المطرِ عذابٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ على النَّاسِ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤١١) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٤١٤) .

باب الشكر

حقيقةُ الشُّكرِ عند أهلِ التحقيقِ : الاعترافُ بنعمةِ المُنعِمِ علىٰ وجهِ الخضوعِ والخشوعِ ، وعلىٰ هٰذا القولِ يُوصَفُ اللهُ سبحانَهُ بأنَّه شكورٌ توسُّعاً ؛ يعني : لا حقيقةً ، بلْ مجازاً ، ومعناهُ : أنَّهُ يُجازي العبادَ على الشكرِ ، فسُمِّيَ جزاءُ الشُّكرِ شكراً[1] .

وقيلَ : شكرُهُ إعطاءُ الكثيرِ مِنَ الثَّوابِ على العملِ اليسيرِ .

ويُحتَمَلُ أن يُقالَ : حقيقةُ الشكرِ : الثناءُ على المُحسِنِ بذكرِ إحسانِهِ .

والشُّكرُ ينقسمُ إلىٰ ثلاثةٍ :

شكرٌ باللِّسانِ : وهو اعترافُهُ بالنِّعمةِ بنعمةِ الاستكانةِ[2]

وشكرٌ بالبدنِ والأركانِ : وهو اتِّصافُهُ بالخدمةِ .

وشكرٌ بالقلبِ : وهو اعتكافُهُ علىٰ بِساطِ الشُّهودِ بإدامةِ حفظِ الحُرمةِ .

---

(١) وفي (ب) : (وعلىٰ هٰذا القول فوصْفُ الله سبحانه بأنه شكور . . توسُّعٌ ، ومعناه : أنه . . .) .

(٢) في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٢٥) : (وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة) .

باب اليقين

قالَ بعضُهُم : أوَّلُ المقاماتِ المعرفةُ ، ثمَّ اليقينُ ، ثمَّ التصديقُ ، ثمَّ الإخلاصُ ، ثمَّ الشهادةُ ، ثمَّ الطاعةُ ، والإيمانُ اسمٌ لجميعِ هٰذا كلِّهِ .

أشارَ هٰذا القائلُ إلىٰ أنَّ أوَّلَ الواجباتِ المعرفةُ باللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، والمعرفةُ لا تَحصُلُ إلا بتقديمِ شرائطِها ؛ وهو النظرُ الصائبُ ، ثمَّ إذا توالَتِ الأدلةُ وحصَلَ البيانُ . . صارَ بتوالي الأنوارِ وحصولِ الاستبصارِ كالمُستغني عن تأمُّلِ البرهانِ ، وهو حالُ اليقينِ .

ثمَّ تصديقُ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ فيما أخبرَ : إصغاؤُهُ إلىٰ إجابةِ الدَّاعي فيما يُخبِرُ عنهُ مِنْ أفعالِهِ سبحانَهُ في المُستأنَفِ[1] ؛ لأنَّ التَّصديقَ إنَّما يكونُ في الأخبارِ .

ثمَّ الإخلاصُ فيما يعتقدُ مِنْ أداءِ الأوامرِ ، ثمَّ بعدَ ذٰلك إظهارُ الإجابةِ بتحصيلِ الشَّهادةِ ، ثمَّ أداءُ الطاعاتِ بالتوجُّهِ فيما أُمِرَ بهِ والتحرُّزِ عمَّا زُجِرَ عنهُ .

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

باب الصبر

قالَ ذو النُّونِ المِصريُّ رحمَهُ اللهُ : (الصبرُ التباعدُ من المخالفاتِ ، والسكونُ عندَ تجرُّعِ غُصَصِ البَلِيَّةِ ، وإظهارُ الغنىٰ معَ حُلولِ الفقرِ بساحاتِ المعيشةِ)[1] .

وقالَ الجُنيدُ رحمهُ اللهُ : (الصبرُ تجرُّعُ المرارةِ مِنْ غيرِ تعبيسٍ)[2] .

وقالَ أبو عليٍّ الدقاقُ رحمهُ اللهُ : (الصبرُ علىٰ أقسامٍ : صبرٌ علىٰ ما هو كسبُ العبدِ ، وصبرٌ علىٰ ما هو ليسَ بكسبٍ .

فالصبرُ المكتسَبُ علىٰ قِسمَين : صبرٌ علىٰ ما أَمَرَ اللهُ بهِ ، وصبرٌ عمَّا نهى اللهُ عنهُ .

وأما الصبرُ الذي ليسَ بمكتسبٍ للعبدِ : فصبرُهُ علىٰ مقاساةِ ما يَتَّصِلُ بهِ مِنْ حكمِ اللهِ تعالىٰ فيما لهُ فيهِ مشقَّةٌ)[3] .

وقيلَ : الصبرُ : ألَّا يُفرِّقَ بينَ حالِ النِّعمةِ والمِحنةِ معَ سكونِ الخاطرِ فيهما ، والتَّصبُّرُ : هو السُّكونُ معَ البلاءِ معَ وجدانِ أثقالِ المحنةِ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٣٩) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٣٩) .

(٣) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٣٨) .

باب المراقبة

المراقبةُ : علمُ العبدِ باطِّلاعِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ عليهِ ، واستدامتُهُ لهٰذا العلمِ مراقبتَهُ لربِّهِ ، ومَنْ لهُ هٰذا العلمُ . . فليحفظْ أفعالَهُ وأقوالَهُ وما يَجري في خاطرِهِ عمَّا لا يرضاهُ اللهُ تعالىٰ ، وَلْيَنظُرْ على الدوامِ جَرَيانَ خطابِ اللهِ تعالىٰ معَهُ مِنَ الأمرِ والنَّهيِ .

قال أبو حفصٍ الحدَّادُ رحمهُ اللهُ : (إذا جلستَ في النَّاسِ . . فكُن واعظاً لقلبِكَ ولنفسِكَ ، ولا يغُرَّنَّكَ اجتماعُهُم عليكَ ؛ فإنَّهم يُراقبونَ ظاهرَكَ ، واللهُ رقيبُ باطنِكَ)[1] .

قالَ بعضُ الفقراءِ : كانَ أميرٌ لهُ غلامٌ يُقبِلُ عليهِ أكثرَ مِنْ إقبالِهِ علىٰ غيرِهِ مِنْ غِلمانِهِ ، ولمْ يكنْ أكثرَهُم قيمةً ، ولا أحسَنَهُم صورةً ، فقالوا لهُ في ذٰلكَ .

فأرادَ الأميرُ أن يُبيِّنَ لهم فضلَ الغُلامِ في الخدمةِ علىٰ غيرِهِ ، فيَوماً من الأيامِ كانَ راكباً ومعَهُ الحشَمُ ، وبالبُعدِ منهم جبلٌ عليهِ ثلجٌ ، فنظرَ الأميرُ إلىٰ ذٰلكَ الثَّلجِ وأَطرَقَ ، فركضَ الغلامُ فَرَسَهُ ، فلمْ يَعلَمِ القومُ لماذا رَكَضَ ، فلمْ يَلبَثْ إلَّا يسيراً حتىٰ جاءَ ومعَهُ شيءٌ مِنَ الثَّلجِ ، فقالَ الأميرُ : ما أدراكَ أنِّي أردتُ الثلجَ ؟ فقالَ الغلامُ : لأنَّكَ نظرتَ إليهِ ، ونظرُ الأميرِ إلىٰ شيءٍ لا يكونُ عن غيرِ قصدٍ ، فقالَ الأميرُ : إنَّما أخُصُّه بإكرامي وإقبالي عليهِ لأنَّ لكلِّ واحدٍ شُغُلاً ، وشُغُلُه مُراعاةُ لَحَظاتي ، ومُراقبةُ أحوالي[2] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٠) .

(٢) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٤٤٨) .

باب الرّضا

اختلفَ المشايخُ رحمَهُم اللهُ في الرضا ؛ فقالَ بعضُهم : هو كسبيٌّ كالمَقاماتِ ، وقالَ الآخَرونَ : ليس بكسبيّ ، بلْ شيءٌ يَحُلُّ القلبَ كالأحوالِ .

والرِّضا : تركُ الاعتراضِ علىٰ تقديرِ اللهِ تعالىٰ .

قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلـٰهي ؛ دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عَمِلتُه . . رضيتَ عني ؟ فقال : إنَّكَ لا تُطيقُ ذٰلكَ ، فخرَّ موسىٰ ساجداً متضرِّعاً ، فأَوحى اللهُ إليهِ : يا بنَ عِمرانَ ؛ إنَّ رضائي رضاكَ بقضائي[1] .

وقالَ تلميذٌ لأستاذِهِ : هلْ يَعرِفُ العبدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ راضٍ عنهُ ؟ فقالَ : لا ؛ كيفَ يَعلمُ ذٰلكَ ورضاهُ غيبٌ ، فقالَ التِّلميذُ : أعرفُ ذٰلكَ ، فقالَ : كيفَ ؟ فقالَ : إذا وجدتُ قلبي راضياً مِن اللهِ تعالىٰ . . علمتُ أنَّهُ راضٍ منِّي ، فقالَ الأستاذُ : أحسنتَ يا غلامُ[2] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٤) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٤) .

باب العبودية

قال أبو عليٍّ الدقاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (العبوديةُ أتمُّ مِنَ العبادةِ ؛ فالأوَّلُ العبادةُ ، ثمَّ العبوديةُ ، ثمَّ العبودةُ ؛ فالعبادةُ للعوامِّ مِنَ المؤمنينَ ، والعبوديةُ للخواصِّ ، والعبودةُ لخاصِّ الخاصِّ)[1] .

والعبادةُ لمَنْ لهُ عِلمُ اليقينِ ، والعبوديةُ لمَنْ لهُ عينُ اليقينِ ، والعبودةُ لمَنْ لهُ حقُّ اليقينِ ؛ فالعبادةُ لأصحابِ المُجاهَدَاتِ ، والعبوديةُ لأربابِ المُكابَداتِ ، والعبودةُ صفاتُ أهلِ المُشاهَداتِ .

فمَن لمْ يَدَّخِرْ عنِ اللهِ تعالىٰ نفسَهُ . . فهو صاحبُ عبادةٍ ، ومَن لمْ يَضِنَّ عليهِ بقلبِهِ . . فهوَ صاحبُ عبوديةٍ ، ومَن لم يَبخَلْ عليهِ بروحِهِ . . فهو صاحبُ عبودةٍ .

وقيلَ : العبوديةُ في أربعةِ أشياءَ : الوفاءُ بالعهودِ ، والحفظُ للحدودِ ، والرِّضا بالموجودِ ، والصَّبرُ على المفقودِ .

---

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٩) .

باب الإرادة

قيلَ : الإرادةُ تركُ ما عليهِ العادةُ ؛ مِنِ اتباعِ الشَّهَواتِ ، وجمعِ المالِ ، وحبِّ الدُّنيا وغيرِ ذٰلك .

وحقيقةُ الإرادةِ : نُهوضُ القلبِ في طلبِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ؛ ولهٰذا قالوا : إنَّها لَوعةُ حُرقةٍ تُوجَدُ في القلبِ مِن وَجدٍ أو حُزنٍ تَفُوقُ كلَّ رَوعةٍ .

[قالَ القشيريُّ] : سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقاقَ رحمهُ اللهُ يقولُ حاكياً عنْ ممشاذَ الدِّينَوَريِّ قالَ : منذُ علمتُ أنَّ أحوالَ الفقراءِ جِدٌّ كلُّها . . لمْ أُمازِحْ فقيراً ؛ وذٰلكَ أنَّ فقيراً قَدِمَ عليَّ فقالَ : أيُّها الشَّيخُ ؛ نريدُ أنْ تَتَّخِذَ لي عصيدةً ، فجرىٰ علىٰ لساني : إرادةٌ وعصيدةٌ ؟!! فتأخَّرَ الفقيرُ ولمْ أَشعُرْ ، فأمرتُ باتخاذِ العصيدةِ ، وطلبتُ الفقيرَ فلمْ أَجِدْهُ ، فتعرفتُ خَبرَهُ ، فقيلَ : إنَّهُ انصرَفَ مِنْ فَورِهِ وكانَ يقولُ في نفسِهِ : إرادةٌ وعصيدةٌ ؟!! وهامَ علىٰ وجهِهِ حتىٰ دخلَ الباديةَ ، ولمْ يزلْ يقولُ هٰذه الكلمةَ حتىٰ ماتَ[1] .

وعنْ بعضِ المشايخِ قالَ : كنتُ في الباديةِ وَحدي ، فضاقَ صدري ، فقلتُ : يا إنْسُ ؛ كلِّموني ، يا جنُّ ؛ كلِّموني فهتفَ بي هاتفٌ : أَيشٍ تُريدُ ؟ فقلتُ : أريدُ اللهَ ، فقالَ الهاتفُ : متىٰ تريدُ اللهَ ؟! يعني : أنَّ مَن قالَ للجنِّ والإنسِ : كلِّموني متىٰ يكونُ مُريداً للهِ تعالىٰ ؟![2] .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٤٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٦٦) .

باب الاستقامة

الاستقامةُ : الثباتُ على شيءٍ مِنْ غيرِ تزلزلٍ .

فمِنْ أماراتِ استقامة أهل البدايةِ : ألَّا يشوبَ معاملتَهم فترةٌ .

ومِنْ أماراتِ استقامةِ أهلِ الوسائطِ : ألَّا يصحبَ منازلتَهم وقفةٌ .

ومِنْ أماراتِ استقامةِ أهلِ النهايةِ : ألَّا يتداخلَ مواصلتَهم حَجْبةٌ .

وقالَ أبو عليٍّ الجوزجانيُّ رحمَهُ اللهُ : (كنْ صاحبَ الاستقامةِ ، لا طالبَ الكرامةِ ؛ فإنَّ نفسَكَ متحرِّكةٌ في طلبِ الكرامةِ ، وربُّك يُطالِبُ بالاستقامةِ)[1]

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٣) .

باب الإخلاص والصدق

الإخلاصُ : إفرادُ الحقِّ سبحانَهُ في الطاعةِ بالقصدِ ؛ وهو أنْ يريدَ بطاعتِهِ التقرُّبَ إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ دونَ شيءٍ آخَرَ ؛ مِنْ تصنُّعٍ لمخلوقٍ أو اكتسابِ مَحمَدةٍ عندَ الناسِ ، أو محبَّةِ مدحٍ مِنَ الخَلقِ .

وقالَ أبو بكرٍ الدقَّاقُ : (نُقصانُ كلِّ مُخلِصٍ في إخلاصِهِ رؤيةُ إخلاصِهِ ، فإذا أرادَ اللهُ أن يُخلِصَ إخلاصَهُ . . أَسقَطَ عنْ إخلاصِهِ رؤيتَهُ لإخلاصِهِ ؛ فيكونُ مُخلَصاً لا مُخلِصاً)[1]

وقالَ سهلٌ رحمهُ اللهُ : (لا يَعرِفُ الرِّياءَ إلا مُخلِصٌ)[2] .

وقال الفُضَيلُ رحمهُ اللهُ : (تركُ العملِ من أجلِ الناسِ رياءٌ ، والعملُ مِنْ أجلِ الناسِ شركٌ ، والإخلاصُ أنْ يُعافِيَك اللهُ منهما)[3]

وقيلَ : الصدقُ : القولُ بالحقِّ في مواطنِ الهَلَكةِ .

وقالَ عبدُ الواحد بنُ زيدٍ رحمهُ اللهُ : (الصِّدقُ : الوفاءُ للهِ بالعملِ)[4]

وقالَ ذو النونِ المِصريُّ رحمهُ اللهُ : (الصِّدقُ : سيفُ اللهِ تعالىٰ ؛ ما وُضِعَ علىٰ شيءٍ إلا قَطَعَهُ)[5] .

وسُئِلَ الفتحُ المَوصِليُّ عن الصِّدقِ ؛ فأدخلَ يدَهُ في كِيرِ الحدَّادِ ، وأخرجَ الحديدةَ المُحماةَ ، ووَضَعَها علىٰ كَفِّهِ ، وقالَ : هٰذا هو الصِّدقُ[6] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٨) ، وفيها : (الزقاق) بدل (الدقاق) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٨٠) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٦٩) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٣) .

(٥) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢٢) .

(٦) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٦) .

باب الحياء

الحياءُ على وجوهٍ :

حياءُ الجِنايةِ : كحياءِ آدمَ عليه السلامُ حينما أكلَ مِنَ الشَّجَرةِ ، فذهَبَ يميناً وشمالاً ، فقالَ الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ : أَفِراراً منَّا ؟ فقالَ : لا ، بلْ حياءً منكَ[1] .

وحياءُ التقصيرِ : كالملائكةِ يقولونَ : ما عبدناكَ حقَّ عبادتِكَ[2] .

وحياءُ الإجلالِ : كإسرافيلَ عليهِ السلامُ تَسربَلَ بجناحَيه حياءً مِن اللهِ تعالىٰ[3]

وحياءُ الكرمِ : كالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كان يَستحيي مِن أمَّتِهِ أنْ يقولَ : اخرجوا ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[4] .

وحياءُ الحِشمةِ : كعليٍّ رضيَ اللهُ عنه حينَ سألَ المِقدادَ حتىٰ يسألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن حُكمِ المذيِ ؛ لمكانِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها منهُ[5] .

وحياءُ الاستحقارِ : كموسىٰ عليهِ السلامُ قالَ : إنَّهُ لَتَعرِضُ ليَ الحاجةُ مِنَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (٣٨٩) من حديث سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٧) من قول سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وله حُكم الرفع .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٢٨٣) من قول كعب الأحبار ، وفيه : (وجناح قد تسربل به) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٩٣) ومسلم (١٤٢٨) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وعند البخاري : (وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء) ، والآية من سورة الأحزاب : (١٥٣) .

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩) ومسلم (٣٠٣) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

الدُّنيا فأَستحيي أنْ أسألَكَ يا ربِّي ، فقالَ اللهُ تعالىٰ لهُ : سَلني حتَّىٰ مِلحَ عَجِينِكَ وعَلَفَ شاتِكَ [1] .

وحياءٌ هو حياءُ الربِّ تعالىٰ : يُدفَعُ إلى العبدِ كتابٌ مختومٌ بعدَما عَبَرَ الصِّراطَ ، فإذا فيهِ : فعلتَ ما فعلتَ ولٰكنِ استحيَيتُ أنْ أُظهِرَ عليكَ ، فاذهَبْ ؛ فإنِّي قدْ غَفَرتُ لكَ [2]

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : عِظ نفسَكَ ؛ فإنِ اتَّعظت . . فعِظِ الناسَ ، وإلا . . فَلتَستَحْيِ منِّي أنْ تَعِظَ الناسَ [3] .

---

(١) أورده ابن الجوزي في « المنثور » (ص ٦٧) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٩٢) .

(٣) رواه أحمد في « الزهد » (٣٠٠) .

باب الحرّية

الحريةُ في اللغةِ : الخُلوصُ ، ويقالُ : طينٌ حرٌّ ؛ أيْ : خالصٌ ، وفلانٌ حرُّ الذاتِ ؛ أيْ : خالصُ الذاتِ مِنَ الأشياءِ المذمومةِ .

وعندَ أهلِ الحقيقةِ : عبارةٌ عن صفاءِ الذاتِ عن خَبَثِ الدنيا وحبِّ الجاهِ والشُّهرةِ ، وتعلُّقِ الخاطرِ بما سوى اللهِ عزَّ وجلَّ .

وسُئِلَ الجُنَيدُ رحمَهُ اللهُ عمَّنْ لمْ يبقَ عليهِ مِن الدنيا إلا مقدارُ مصِّ نَواةٍ ؟[1] فقالَ : المكاتبُ عبدٌ ما بَقِيَ عليهِ درهمٌ[2] ؛ يعني : الرَّجُلُ غيرُ حرٍّ ما بَقِيَ عليهِ شيءٌ مِنَ الدنيا مِن الأشياءِ المذمومةِ وإنْ قلَّ .

واعلمْ : أنَّ معظمَ الحرِّيَّةِ في خدمةِ الفقراءِ ، أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : إذا رأيتَ لي طالباً . . فكُنْ لهُ خادماً[3] .

قالَ يحيى بنُ معاذٍ رحمهُ اللهُ : (أبناءُ الدنيا يَخدُمُهم الإماءُ والعبيدُ ، وأبناءُ الآخرةِ يَخدُمُهُم الأحرارُ والأبرارُ)[4]

---

(١) في (أ) : (مضّ فراق) ، والمثبت من (ب) ، و« الرسالة القشيرية » : (ص ٤٩٦) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٤٢٩) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٤٨٢) .

(٤) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٩٧) .

باب الذكر

الذِّكرُ على ضَربَينِ : ذكرٌ باللِّسانِ ، وذكرٌ بالقلبِ .

فذكرُ اللِّسانِ : أن تَذكُرَهُ بأسمائِه الحسنىٰ وصفاتِهِ العُليا ، وتتحدَّثَ بنعمتِهِ .

وذكرُ القلبِ : أن تَحفَظَهُ ولا تَنساهُ .

وقالَ الواسطيُّ : (الذِّكرُ : الخروجُ عن مَيدانِ الغفلةِ إلىٰ فضاءِ المشاهدةِ على غلبةِ الخوفِ وشدةِ الحبِّ)[1] .

وقالَ الكَتَّانيُّ : لولا أنَّ ذِكرَهُ فرضٌ عليَّ . . لَما ذكرتُهُ ؛ إجلالاً لهُ ، فمِثلي كيفَ يَذكُرُهُ ولمْ يَغسِلْ فمَهُ بألفِ توبةٍ مُتقبَّلةٍ ؟ عزَّ ذِكرُهُ[2] .

وقالَ النوريُّ : (لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ ، وعقوبةُ العارفِ انقطاعُهُ عن الذِّكرِ)[3]

وقيلَ لراهبٍ : أنتَ صائمٌ ؟ فقالَ : صائمٌ بذكرِهِ ، فإذا ذكرتُ غيرَهُ . . أفطَرتُ .

قيلَ : كانَ رجلٌ يُكثِرُ أنْ يقولَ : اللهُ اللهُ ، فوقعَ يوماً علىٰ رأسِهِ جِذعٌ ، فانشجَّ رأسُهُ ، وسَقَطَ الدمُ ، فكتبَتْ على الأرضِ : الله الله[4] .

وقالَ [أبو] عبدُ الرَّحمٰنِ السُّلَميُّ رحمهُ اللهُ : (الذِّكرُ عندي أتمُّ مِنَ الفكرِ ؛ لأنَّهُ تعالىٰ يُوصَفُ بالذكرِ ولا يُوصَفُ بالفكرِ ، وما هو وصفُ اللهِ تعالىٰ أتمُّ ممَّا لا يكونُ وصفاً للهِ) .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٩٩) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠١) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٤) .

(٤) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٥) .

باب الفتوة

أصلُ الفُتُوَّةِ : أنْ يكونَ العبدُ أبداً في أمرِ غيرِهِ .

وقيلَ : الفتوةُ : الصفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ .

وقيلَ : الفتوةُ : ألَّا ترىٰ لنفسِك فضلاً علىٰ غيرِك .

وقيلَ : الفتىٰ : مَن لا يكونُ خَصماً لأحدٍ .

وقالَ النَّصراباذيُّ : (المروءةُ شُعبةٌ من الفتوةِ ؛ وهو الإعراضُ عن الكونينِ والأَنَفةُ منهما)[1] .

وقيلَ : الفتوةُ ألا نذَّخِرَ ، ولا نعتذرَ .

وقيلَ : إظهارُ النِّعمةِ ، وإسرارُ المِحنةِ .

وقيلَ : تزوَّجَ رجلٌ بامرأةٍ ، فقَبلَ الدُّخولِ . . ظهَرَ بالمرأةِ الجُذَريُّ ، فقالَ الرجلُ : اشتكَتْ عَينِي ، ثمَّ قالَ : عَمِيتُ ، فزُفَّتْ إليهِ المرأةُ ، ثمَّ ماتَتْ بعدَ عشرينَ سنةً ، ففتحَ الرجُلُ عَينَهُ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : لمْ أَعمَ ، ولٰكنْ تعامَيتُ ؛ حِذارَ أن تَحزَنَ ، فقيل : سَبقتَ الفِتيانَ[2] ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٧) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٩) .

باب الفِراسة

قالَ الواسطيُّ رحمهُ اللهُ : (إنَّ الفِراسةَ سواطعُ أنوارٍ لمَعَتْ في القلوبِ ، ومكينُ معرفةٍ حَمَلَتِ السَّرائرَ في الغيوبِ مِن غيبٍ إلىٰ غيبٍ ، حتَّىٰ يَشهَدَ الأشياءَ مِنْ حيثُ أَشهَدَهُ الحقُّ إيَّاها ، فيَتكلَّمُ عن ضميرِ الخَلقِ)[1]

وقيلَ : كانَ أبو القاسمِ المنادي مريضاً ، وكانَ كبيرَ الشأنِ ، فعادَه أبو الحسنِ البوشنجيُّ وأبو الحسنِ الحدَّادُ ، واشتريا بنصفِ درهمٍ تفاحاً في الطريقِ بنسيئةٍ ، وحملاهُ إليهِ ، فلما قَعَدا . . قال أبو القاسمِ : ما هٰذه الظُّلمةُ ؟ فخرجا وقالا : أَيشٍ فعلنا ؟ وتفكَّرا ، فقالا : لعلَّنا لم نؤدِّ ثمنَ التفاحِ ، وأَعطَيا الثمنَ ، وعادا إليهِ ، فلمَّا وقعَ بصرُهُ عليهما فقالَ : أَيُمكِنُ للإنسانِ أن يَخرُجَ من هٰذه الظُّلمةِ بهٰذه السرعةِ ؟![2] .

قالَ شاهٌ الكرمانيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (مَنْ غضَّ بَصَرَهُ عن المحارمِ ، وأَمسَكَ نفسَهُ عن الشَّهَواتِ ، وعمرَ باطنَهُ بدوامِ المراقبةِ ، وظاهرَه باتباعِ السُّنَّةِ ، وتعوَّدَ أكلَ الحلالِ . . لم تُخطِئ فِراستُهُ قطُّ)[3] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥١٤) .

(٢) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٥١٦) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥١٨) .

باب الخُلُق

الخُلُقُ الحسَنُ : أن تُحسِنَ إلىٰ مَنْ يُؤذيكَ ، وتَرحَمَ كلَّ الخلقِ حتىٰ عدوَّكَ ، وحتى الكلبَ .

قالَ الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ : (الخُلُقُ العظيمُ : ألَّا تُخاصِمَ ولا تُخاصَمَ مِن شدَّةِ معرفتِكَ باللهِ تعالىٰ)[1] ، ومعناهُ : ألَّا يُؤثِّرَ فيكَ جفاءُ الخَلْقِ بعدَ مطالعتِكَ الحقَّ .

قيلَ للأحنفِ بنِ قيسٍ : ممَّنْ تعلَّمتَ الخُلُقَ ؟ فقالَ : مِن قَيسِ بنِ عاصمٍ ، قيلَ : وما بَلَغَكَ مِنْ خُلُقِهِ ؟ فقالَ : بينا هو جالسٌ في دارِهِ . . إذْ جاءَ خادمٌ بسَفُّودٍ[2] عليهِ شِواءٌ ، فسَقَطَ مِن يَدِهِ ، فوقعَ على ابنٍ لهُ وماتَ ، فدُهِشَ الخادمُ ، فقالَ : لا رَوعةَ عليكَ ، أنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ تعالىٰ[3] .

ورُوِيَ أن أميرَ المؤمنين عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ دعا غلاماً لهُ ، فلمْ يُجِبْهُ ، فدعاهُ ثانياً وثالثاً ، فلمْ يُجِبهُ ، فقامَ إليهِ ، فرآهُ مُضطَجِعاً ، فقالَ : أما تَسمَعُ يا غلامُ ؟! فقالَ : نعمْ ، فقالَ : ما حَمَلَكَ علىٰ تَركِ جوابي ؟ فقالَ : أَمِنتُ عُقُوبتَك فتَكاسَلْتُ ، فقالَ : امضِ ، أنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ تعالىٰ[4] .

قالَ الجريريُّ : قَدِمْتُ مِنْ مكةَ ، فبدأْتُ بالجُنَيدِ لكيلا يسعىٰ[5] إليَّ ، فسلَّمتُ عليهِ ، ثمَّ مَضَيتُ إلى المنزلِ ، فلمَّا صلَّيتُ الصُّبحَ في المسجدِ . . إذا

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٢٨) .

(٢) السفود : الحديد الذي يشوىٰ عليه اللحم .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣٠) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣١) .

(٥) في « ب » : « يتعنَّىٰ » .

أنا بهِ هو خَلفي في الصَّفِّ ، فقلتُ : إنَّما جئتُكَ أمسِ لئلَّا تَتعنَّىٰ ! قالَ : ذاكَ فضلُكَ ، وهٰذا حقُّكَ[1]

قالَ الكَتَّانيُّ : (التصوُّفُ خُلُقٌ ؛ فمَنْ زادَ عليكَ في الخُلُقِ . . فقدْ زادَ عليكَ في التَّصوُّفِ ، ومَن زادَ عليكَ في التَّصوُّفِ . . فقدْ زادَ عليكَ في الخُلُقِ)[2] .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أَدهَمَ : هل فَرِحتَ في الدُّنيا قطُّ ؟ قالَ : [نعمْ][3] ، مرَّتَين ؛ إحداهما : كنتُ قاعداً فجاءَ إنسانٌ فبالَ عليَّ ، والثانيةُ : كنتُ قاعداً فجاءَ إنسانٌ وصَفَعَني للفقرِ[4]

---

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣٢) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٢٩) .

(٣) في النسخ : (بلىٰ) ، والمثبت من « الرسالة القشيرية » (ص ٥٣١) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣١) .

باب الجود والسخاء والبذل

ولا فرقَ على لسانِ أهلِ العلمِ بينَ الجُودِ والسَّخاءِ ، ولا يُوصَفُ الحقُّ سُبحانَهُ بالسَّخاءِ ؛ لعدمِ التَّوقيفِ ولعدمِ النصِّ .

وحقيقةُ الجُودِ : ألَّا يَصعُبَ عليهِ البَذلُ .

وعندَ القومِ : السَّخاءُ هو الرُّتبةُ الأُولىٰ ، ثمَّ الجُودُ بعدَهُ ، ثمَّ الإيثارُ ؛ فمَنْ أعطى البعضَ وأبقَى البعضَ . . فهو صاحبُ سَخاءٍ ، ومَن بذلَ الأكثرَ وأبقَىٰ لنفسِهِ شيئاً . . فهو صاحبُ الجُودِ ، ومَن جادَ بالكلِّ وأبقَىٰ لنفسِهِ الفقرَ والفَاقةَ . . فهو صَاحبُ الإيثارِ .

وقيلَ : مَرِضَ قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فاستبطأَ إخوانَهُ في العِيادةِ ، فسألَ عنهم ، فقالوا : إنَّهم يَستَحيُونَ ممَّا لكَ عليهم مِن الدَّينِ ، فقالَ : أَخزَى اللهُ مالاً يَمنَعُ الإخوانَ مِن الزِّيارةِ ، ثم أمَرَ مَن يُنادي : مَن كان لقيسٍ عليهِ مالٌ . . فهو منهُ في حلٍّ ، فكُسِرَت عَتَبَتُهُ بالعَشيِّ لكَثرةِ مَنْ عادَهُ[1] .

وسألَتِ امرأةُ اللَّيثَ بنَ سعدٍ سُكُرُّجةَ عَسَلٍ ، فأمَرَ لها بزِقِّ عسلٍ ، فقيلَ لَه في ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّها سألَت علىٰ قَدرِ حاجَتِها ، ونحن نُعطي علىٰ قَدرِ نِعمتِنا[2] .

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٤٠) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٤٣) .

باب الغَيْرة

قالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الغَيرةُ : كَراهيةُ مُشاركةِ الغيرِ)[1]

وإذا وُصِفَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بالغَيرةِ . . فمعناهُ : ألَّا يرضَىٰ بمُشاركةِ الغَيرِ معَهُ فيما هو حقٌّ لهُ مِن طاعاتِ عَبدِهِ .

والواجبُ أن يُقالَ : الغَيرةُ غَيرتانِ : غَيرةُ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ على العبدِ ؛ وهو ألَّا يَجعَلَه للخَلقِ فيَضِنَّ بهِ عليهِم ، وغَيرةُ العبدِ للحقِّ ؛ وهو ألَّا يَجعَلَ شيئاً مِن أحوالِهِ وأنفاسِهِ لغيرِ الحقِّ سُبحانَهُ وتعالىٰ .

ومِنْ سُنَّةِ الحقِّ جلَّ جلالُه معَ أوليائِهِ أنَّهم إذا [سَاكَنُوا][2] غَيراً ولاحظوا شيئاً أو صاحبوا بقلوبِهم شيئاً شوَّشَ عليهِم ذٰلكَ . . فيَغارُ علىٰ قلوبِهم بأنْ يُعيدَها خالصةً لنفسِهِ .

وقيلَ : أَوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ أنبيائِهِ : أنَّ لفلانٍ إليَّ حاجةً ، ولي أيضاً إليهِ حاجةٌ ، فإنْ قضىٰ حاجَتي . . قَضَيتُ حاجتَهُ ، فقالَ ذٰلكَ النَّبيُّ في مُناجاتِه : إلٰهي ؛ كيفَ يكونُ لكَ حاجةٌ ؟! فقالَ تعالىٰ : إنَّهُ ساكَنَ بقلبِهِ غيري ، فليُفرِّغْ قلبَهُ عنهُ . . أَقضِ حاجتَهُ[3] ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٤٦) .

(٢) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٥٠) ، وفي النسخ : (سكنوا) .

(٣) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٥٠) .

باب الولاية

قال الشَّيخُ أبو القاسم القُشيريُّ رحمه الله : (الوَليُّ لهُ معنيانِ :

أحدُهما : فعيلٌ بمعنىٰ مفعولٍ ؛ وهو مَنْ يتولَّى اللهُ تعالىٰ أَمرَهُ ، ولا يَكِلُهُ إلىٰ نفسِهِ لحظةً ، بلْ يَتولَّى الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ رِعايتَهُ .

والثَّاني : فَعيلٌ ، مُبالغةٌ مِنَ الفَاعلِ ؛ وهو الذي يَتولَّىٰ عبادةَ اللهِ ، فعبادتُهُ تَجري على التَّوالي مِنْ غيرِ أنْ يتخللها عِصيانٌ .

وكِلا الوَصفَينِ واجبٌ حتَّىٰ يكونَ الوَليُّ وليّاً)[1] .

واختلفوا في أنَّ الوليَّ : هل يجوزُ أن يَعلَمَ أنَّه وليٌّ أمْ لا ؟

فمنهم مَنْ قالَ : لا يجوزُ ذٰلكَ ؛ لأنَّ الوَليَّ يُلاحِظُ نَفسَهُ بعَينِ الاستصغارِ ، وإنْ ظَهَرَ عليهِ شيءٌ مِنَ الكَرَاماتِ . . خافَ أن يكونَ مَكْراً ، وهو يَستشعِرُ دائماً خَوفَ سُقوطِهِ عمَّا هو فيهِ ، وأنْ تكونَ عاقِبتُهُ بخِلافِ حالِهِ ، وهٰؤلاءِ يجعلونَ مِن شرطِ الولايةِ : وفاءُ المآلِ .

ومنهم مَنْ قالَ : يجوزُ أن يَعلَمَ الوليُّ أنَّهُ وَليٌّ ، وليسَ مِنْ شرطِ تحقيقِ الولايةِ في الحالِ الوفاءُ في المآلِ .

وقيلَ : عَلامةُ الوَليِّ ثلاثةٌ : شُغلُهُ باللهِ تعالىٰ ، وفِرارُهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، وهمُّهُ اللهُ تعالىٰ ، واللهُ أعلم .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٥٥٣) .

باب الدعاء

الدُّعاءُ مِفتاحُ الحاجاتِ ، وهو مُستَروَحُ أَصحابِ الفاقاتِ ، ومَلجَأُ المُضطَرينَ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أَقربُ الدُّعاءِ إلى الإجابةِ دُعاءُ الحالِ)[1] ، ودعاءُ الحالِ أنْ يكونَ صاحبُهُ مُضطراً ، لا بدَّ لهُ ممَّا يدعو لأَجلِهِ .

واختلفوا في أنَّ الأفضلَ الدُّعاءُ ، أمِ السكوتُ والرضاءُ ؟ فمِنهم مَن قالَ : الدُّعاءُ في نفسِهِ عبادةٌ ، قالَ النبيُّ عليهِ السلامُ : « ٱلدُّعَاءُ مُخُّ ٱلْعِبَادَةِ »[2] ، والإتيانُ بما هو عبادةٌ أَولىٰ مِنْ تَركِها .

ثمَّ هو حقُّ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، فإنْ لمْ يُستجَبْ للعَبدِ ولم يَصِلِ العبدُ إلىٰ حَظِّ نفسِه . . فلقدْ قامَ بحقِّ ربِّهِ ؛ لأنَّ الدُّعاءَ إظهارُ فاقةِ العبوديَّةِ .

قالَ أبو حازمٍ : (لَأَنْ أُحرَمَ الدُّعاءَ أَشَدُّ عليَّ مِن أنْ أُحرَمَ الإجابةَ)[3]

وطائفةٌ قالوا : السُّكوتُ والخُمودُ تحتَ جَرَيانِ الحُكمِ أتمُّ ، والرِّضا بما سَبَقَ مِنِ اختيارِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ أَولىٰ .

وقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خبراً عنِ اللهِ تعالىٰ : « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسأَلَتِي . . أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي ٱلسَّائِلِينَ »[4]

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٥٩) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديثِ سيدنا أنس رضي اللهُ عنه ، وأخرجه أيضاً (٢٩٦٩) من حديث سيدنا النعمان بن بَشير رضي اللهُ عنهما ، بلفظ : « الدُّعاءُ هو العِبادةُ » .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٥٧٩) من حديثِ سيدنا عمر بن الخطّاب رضي اللهُ عنه .

باب الفقر

الفقرُ شِعارُ الأولياءِ ، وحِليةُ الأصفياءِ ، واختيارُ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ لخواصِّهِ مِنَ الأنبياءِ والأتقياءِ .

والفقراءُ صَفوةُ اللهِ مِنْ عبادِهِ ، ومواضِعُ أسرارِهِ بينَ خَلقِهِ ، بهم يَصُونُ الخَلقَ ، وببركاتِهِم يَبسُطُ عليهمُ الرِّزقَ .

والفقراءُ الصُّبَّرُ جُلساءُ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامةِ ، وبذٰلك قالَ النَّبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ : « لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ ؛ ومِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ حُبُّ ٱلْمَسَاكِينِ ، وَٱلْفُقَرَاءُ ٱلصُّبَّرُ هُمْ جُلَسَاءُ ٱللهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1]

قيلَ : قامَ رجلٌ فقيرٌ في مجلسٍ يَطلُبُ شيئاً ، وقالَ : إنِّي جائعٌ مُذْ ثلاثٍ ، وكانَ هناكَ بعضُ المشايخِ ، فصاحَ عليهِ وقالَ : كَذَبتَ ؛ إنَّ الفقرَ سرُّ اللهِ ، وهو لا يَضَعُ سرَّهُ عندَ مَنْ يَحمِلُهُ إلىٰ مَن يُريدُ[2] .

وقيلَ : نعتُ الفقيرِ ثلاثةُ أشياءَ : حِفظُهُ سرَّهُ ، وأَداءُ فَرضِهِ ، وصِيانةُ فقرِهِ .

قيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : أَتُحِبُّ أنْ يكونَ لكَ يومَ القيامةِ مِثلُ حَسناتِ الخَلقِ أجمعَ ؟ قالَ : نعمْ ، قالَ : عُدِ المريضَ ، وكُن لثيابِ الفقراءِ فالياً[3] ، قالَ : فحَمَلَ موسىٰ عليهِ السلامُ علىٰ نفسِهِ في كلِّ شهرٍ سبعةَ أيامٍ يطوفُ على الفقراءِ يَفلي ثيابَهُم ، ويعودُ المريضَ[4] .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٧١) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه ، والسلفي في « معجم السفر » (١٤١٥) من حديث سيدنا سلمان رضي الله عنه .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٧٢) .

(٣) فالياً : من الفلي ؛ وهو استقصاء ما في الثياب من حشرات وأوساخ وتنظيفها منها .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٢/٦) .

وقالَ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمَهُ اللهُ : (تكلَّمَ الناسُ في الفَقرِ والغِنىٰ ؛ أيُّهما أفضلُ ؟ وعندي : أنَّ الأفضلَ أن يُعطَى الرَّجُلُ كِفايتَهُ ، ثمَّ يُصانَ فيهِ)[1] .

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٧٥) .

باب التصوّف

التصوُّفُ : لُبسُ الصُّوفِ .

والصُّوفيُّ منسوبٌ إلى الصُّوفِ ؛ يعني : لابسَ الصُّوفِ ، والجماعةُ : صوفيَّةٌ ، والمتصوِّفُ مِثلُ الصُّوفيِّ ، والجماعةُ : مُتصوِّفةٌ ، وهٰذا هو اللُّغةُ .

والمرادُ بهِ الآنَ : الجماعةُ المعروفةُ بالتعبُّدِ ، المشتغلةُ بتصفيةِ القلوبِ ، سُمُّوا بهٰذا الاسمِ لأنَّ بعضَ هٰذه الطائفةِ كانوا يَلبَسُون الصُّوفَ لكَسْرِ أنفُسِهِم ؛ فإنَّهُ أبعدُ مِنَ التنعُّمِ ، وأقربُ إلى التواضعِ .

ثم نُسِبَ الذين لمْ يلبَسوا الصُّوفَ إلى الطائفةِ التي لَبِسُوا لمُشارَكتِهِم في الأفعالِ والأقوالِ .

ثمَّ اختَلَفَتْ أقوالُهم في حَدِّ التصوفِ ، فقالَ الجُنَيدُ رحمَهُ اللهُ : (التَّصوفُ : هو أن يُميتَكَ الحقُّ عنكَ ويُحيِيَكَ به)[1] .

وقالَ أبو محمدٍ الجريريُّ رحمهُ اللهُ : (التصوفُ : الدخولُ في كلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والخروجُ من كلِّ خُلُقٍ دنيٍّ)[2] .

وقيلَ : الصوفيُّ وَحدانيُّ الذَّاتِ ، لا يَقبَلُه أحدٌ ، ولا يَقبَلُ أحداً[3]

وقالَ رُوَيمُ بن أحمدَ البغداديُّ : (التصوفُ مبنيٌّ على ثلاث خِصالٍ : التمسُّكُ بالفقرِ ، والتحقُّقُ بالبذلِ ، وتركُ الاعتراضِ لما يجرِي عليهِ)[4] .

وقالَ حمدونٌ القصَّارُ : (اصحَبِ الصوفيَّةَ ؛ فإنَّ للقَبيحِ عندَهم وجوهاً

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٥) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٥) .

(٣) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٨٦) .

(٤) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٥) .

مِنَ المعاذيرِ ، وليسَ للحَسَنِ [عِندَهُم] كَبيرُ مَوْقِعٍ يعظِّمونَكَ بهِ)[1] .

وقيلَ : الصوفيُّ كالأرضِ ؛ يُطرَحُ عليها كلُّ قَبيحٍ ، ولا يَخرُجُ منها إلَّا كلُّ مَليحٍ[2] .

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٧) ، وما بين معكوفين زيادة منها .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٧) ، عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

باب الأدب

وحقيقةُ الأدبِ : اجتماعُ خِصالِ الخيرِ .

والأديبُ : الذي اجتمَعَ فيهِ خِصالُ الخيرِ .

قالَ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمهُ اللهُ : (إنَّ العبدَ يَصِلُ بطاعتِه إلى الجنَّةِ ، وبأدبِهِ في طاعتِه إلى اللهِ)[1]

وقالَ الجريريُّ رحمَهُ اللهُ : (منذُ عشرينَ سنةً ما مَدَدتُ رِجلي وقتَ جلوسي في الخَلوةِ ؛ فإنَّ حُسنَ الأَدبِ معَ اللهِ تعالىٰ أَولىٰ)[2] .

وقالَ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمهُ اللهُ تعالىٰ : (مَنْ صاحَبَ الملوكَ بغيرِ أدبٍ . . أَسلَمَهُ الجهلُ إلى القَتلِ)[3] .

وقالَ أبو نصرٍ السَّرَّاجُ : (الناسُ في الأدبِ علىٰ ثلاثِ طَبَقاتٍ : أهلُ الدُّنيا ، وأهلُ الدِّين ، وأَهلُ الخُصوصيةِ .

فأمَّا أهلُ الدُّنيا : فأكثرُ آدابِهِم في الفصاحةِ والبلاغةِ ؛ بحفظِ العلومِ ، وأسماءِ الملوكِ ، وأشعارِ العَربِ .

وأمَّا أهلُ الدِّينِ : فأكثرُ آدابِهِم في رياضةِ النُّفوسِ ، وتأديبِ الجوَارحِ ، وحِفظِ الحدودِ ، وتركِ الشَّهَواتِ .

وأمَّا أهلُ الخصوصيةِ : فأكثرُ آدابِهم في طَهارةِ القلوبِ ، ومُراعاةِ الأَسرارِ ، والوفاءِ بالعهودِ ، وحفظِ الوَقتِ ، وقلَّةِ الالتفاتِ إلى الخَواطرِ ، وحُسنِ الأدبِ في مواقفِ الطَّلبِ ، وأوقاتِ الحضورِ في مقَاماتِ القُربِ)[4] .

---

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٤) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٥) .

(٣) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٥) .

(٤) اللمع (ص ١٩٥) ، ولفظه هنا عند القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٧) .

باب أحكامهم في السفر

وهٰذه الطَّائفةُ مُختلِفون ؛ فمِنهم مَنْ آثَرَ الإقامةَ على السَّفرِ ، ولا يُسافِرُ إلَّا للفَرضِ ؛ كحَجَّةِ الإسلامِ ، والغالبُ عليهِمُ الإقامةُ ، ومنهم مَن آثَرَ السَّفرَ ، وكانوا علىٰ ذٰلكَ إلىٰ أنْ خَرجوا من الدُّنيا ، وكثيرٌ منهم سافروا في ابتداءِ أمورِهم وحالِ شبابِهم أسفاراً كثيرةً ، ثمَّ قعدوا عن السَّفرِ في آخِرِ أحوَالِهم .

والسَّفرُ علىٰ قِسمينِ :

سَفرٌ بالبدنِ : وهو الانتقالُ من بُقعةٍ إلىٰ بُقعةٍ .

وسفرٌ بالقلبِ : وهو الارتقاءُ من صِفةٍ إلىٰ صفةٍ ، فترىٰ ألْفاً يُسافرُ بنفسِهِ ، وقليلٌ مَنْ يُسافرُ بقَلبِهِ .

قيلَ لبعضِهم : هل سافرتَ ؟ قالَ : سفرَ الأرضِ أم سَفرَ السَّماءِ ؟ أمَّا سفرُ الأرضِ . . فلا ، وأمَّا سَفرُ السماءِ . . بلىٰ [1]

وقالَ أبو عليٍّ الدقاقُ رحمَهُ اللهُ : جاءني رَجلٌ فقالَ : قطعتُ شُقَّةً بعيدةً ، والمقصودُ لقاؤُكَ ، فقلتُ : كانَ يَكفِيكَ خُطوةٌ واحدةٌ لو سافرْتَ عن نفسِكَ [2] ، وهٰذا إشارةٌ إلىٰ أنَّ الإقامةَ أفضلُ .

وقيلَ : أَوحَى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : اتَّخِذْ نعلَينِ مِنْ حَديدٍ ، وعصاً مِنْ حديدٍ ، ثمَّ سِحْ في الأَرضِ ؛ فاطلُبِ الآثارَ والعِبَرَ حتىٰ يتخرَّقَ النَّعلانِ ، وتَنكسِرَ العَصا [3] ، وهٰذا دَليلُ مَنِ اختارَ السَّفرَ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٠٢) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٠٢) .

(٣) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣١٣) من طريق معاوية بن بُجَير ، فذكره .

باب الصحبة

الصُّحبةُ على ثلاثةِ أقسامٍ : صُحبةٌ مع مَن هو فوقَكَ ، وهي في الحقيقةِ خِدمةٌ ، وصُحبةٌ مع مَن هو دُونَكَ ، فهي تَقضي على المتبوعِ بالشَّفقةِ والرَّحمةِ ، وعلى التابعِ بالوَفاءِ والحُرمةِ ، وصُحبةُ الأكْفاءِ ، وهي مبنيةٌ على الإيثارِ والشفقةِ والفُتوةِ .

ومَنْ صَحِبَ شيخاً فوقَهُ في الرُّتبةِ . . فأدبُهُ تركُ الاعتراضِ ، وحَملُ ما يَبدُرُ منهُ على وجهٍ جميلٍ ، فأمَّا إذا صَحِبتَ مَنْ هو دُونَكَ : فالخِيانةُ منكَ في حقِّ صُحبتِهِ ألَّا تُنبِّهَهُ على ما فيهِ مِنْ نُقصانٍ في حالتِهِ .

وقيلَ : صَحِبَ رجلٌ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ، فلمَّا أرادَ أن يُفارِقَهُ . . قالَ لهُ الرَّجُلُ : إنْ رَأيتَ فيَّ عَيباً . . فنبِّهني ، فقالَ : إنِّي لم أرَ لكَ عَيباً ؛ لأنِّي لاحظتُكَ بعينِ الوِدادِ ، فاستحسنتُ منكَ ما رأيتُ ، فاسألْ غَيري عن عَيبِكَ [1]

قالَ بشرُ بنُ الحارِثِ : (صُحبةُ الأشرارِ تُورِثُ سُوءَ الظنِّ بالأخيارِ) [2] .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (لا تَصحَبْ معَ اللهِ إلَّا بالموافقةِ ، ولا معَ الخَلقِ إلَّا بالمُناصحةِ ، ولا تَصحَب معَ النَّفسِ إلَّا بالمخالفةِ ، ولا تَصحَبْ معَ الشَّيطانِ إلَّا بالعداوةِ) [3] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦١١) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٤) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٤) .

باب التوحيد

التَّوحيدُ : الحُكمُ بأنَّ الشيءَ واحدٌ .

والعلمُ بأنَّ الشيءَ واحدٌ أيضاً توحيدٌ ، يُقال : وحَّدتُهُ ؛ إذا وَصفتَهُ بالوَحدانيةِ .

وقالَ بعضُ أهلِ التَّحقيقِ : معنىٰ أنَّهُ واحدٌ : نفيُ القَسيمِ لذاتِهِ ؛ أيْ : لا مَثيلَ لهُ في ذاتِهِ ، ونفيُ الشَّبيهِ عن ذاتِهِ وصِفاتِهِ ، ونفيُ الشَّريكِ معَهُ في أفعالِهِ ومَصنوعاتِهِ .

وقالَ الجُنَيدُ : أَشرفُ كَلمةٍ في التوحيدِ ما قالَ أبو بكرٍ الصِّديقُ رضيَ الله عنه : (سُبحانَ مَنْ لمْ يَجعَلْ لخَلقِهِ سَبيلاً إلىٰ معرفتِهِ إلَّا بالعَجزِ عنْ مَعرفتِهِ)[1] ؛ وأرادَ الصِّدِّيقُ ما قالَتِ الملائكةُ عليهِمُ السلامُ : ما عَرَفناكَ حقَّ معرفتِكَ[2] .

قالَ الجُنَيدُ رحمه الله تعالى : (التوحيدُ الذي انفردَ بهِ الصُّوفيةُ هو إفرادُ القِدَمِ لهُ ، ونفيُ الحَدَثِ عنهُ ، والخروجُ عن الأَوطانِ ، وقطعُ المحابِّ ، وتركُ ما عُلِمَ وجُهِلَ ، وأنْ يكونَ الحقُّ مكانَ الكلِّ)[3]

وقيلَ : التَّوحيدُ إسقاطُ الأَسبابِ ؛ لا يقولُ : لي وبي ومنِّي ، وشَرحُ هٰذا ما قال رُويمٌ : (التوحيدُ : محوُ آثارِ البشريَّةِ ، وتجرُّدُ الإلٰهيَّةِ)[4] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٢١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٧) وأسد بن موسىٰ في « الزهد » (٤٣) من رواية سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، بلفظ : (مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ) .

(٣) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٢١) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٢٣) .

باب أحوالهم عند الموت

وأحوالُهُم عندَ النَّزعِ مُختلِفةٌ ؛ فبعضُهُم الغَالبُ عليهِ الهَيبةُ ، وبعضُهمُ الغالبُ عليهِ الخوفُ ، وبعضُهمُ الغالبُ عليهِ الرَّجاءُ ، ومنهُم مَنْ كُشِفَ لهُ في تلكَ الحالةِ بما أَوجَبَ لهُ السُّكونَ وجميلَ الثِّقةِ .

وقيلَ : لمَّا حَضَرَ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ الله عنهما الوفاةُ . . بكَىٰ ، فقيلَ : ما يُبكيكَ ؟ فقالَ : أَقدَمُ علىٰ سَيِّدٍ لم أَرَهُ[1] .

ولمَّا حضَرَ بلالاً الوفاةُ . . قالَتِ امرأتُهُ : واحُزناهْ ! فقالَ : بلْ واطَرَباهْ ! غداً نَلقَى الأَحبَّة ، محمَّداً وحِزبَهُ[2] .

وقيلَ : فتَحَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ عَينَهُ عندَ الموتِ والوفاةِ وضَحِكَ ، وقالَ : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾[3] .

واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٢٦) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٢٩٤) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٢٧) ، والآية من سورة الصافات : (٦١) .

باب المعرفة

المعرفةُ عندَ هٰذه الطائفةِ : صِفةُ مَنْ عَرَفَ الحقَّ سبحانَهُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ ، ثمَّ صَدَقَ اللهَ في مُعاملاتِهِ ، ثمَّ يُنقَّىٰ مِنْ أخلاقِه الرَّديَّةِ وآفاتِهِ ، ثمَّ طالَ بالبابِ وقوفُهُ ، ودامَ بالقَلبِ عكوفُهُ ، فحَظِيَ مِنَ اللهِ سبحانَهُ بجَميلِ إقبالِهِ ، وصَدَقَ اللهَ في جميعِ أحوالِهِ ، وانقطَعَ عن هواجسِ نفسِهِ ، ولمْ يَصغَ بقَلبِهِ إلىٰ خَاطرٍ يدعوهُ إلىٰ غيرِه .

وإذا صارَ مِنَ الخَلقِ أجنبيّاً ، ومِنْ آفاتِ نفسِهِ بَريّاً ، ومِن السَّاكناتِ والملاحظاتِ نقيّاً ، ودامَ في السِّرِّ معَ اللهِ مُناجاتُه ، وحقَّ في كلِّ لحظةٍ إليهِ رُجوعُهُ ، وصارَ مُحدَّثاً مِن قِبَلِ الحقِّ بتعريفِ أسرارِهِ فيما يُجريهِ مِنْ تصاريفِ أقدَارِه . . يُسمَّىٰ عندَ ذٰلكَ : عارفاً ، وتُسمَّىٰ حالتُه : معرفةً .

وفي الجملةِ : فبمقدارِ أَجنبيَّتِهِ مِنْ نفسِهِ تَحصُلُ معرفتُهُ بربِّهِ .

قالَ رَجُلٌ للجُنَيدِ رحمةُ اللهِ عليهِ : إنَّ قوماً يقولونَ بتركِ الحرَكاتِ من بابِ البرِّ والتقوىٰ ، فقالَ الجُنَيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : إنَّ هٰذا قولُ قَومٍ تكلَّموا بإسقاطِ الأعمالِ ، وهو عندي عظيمٌ ـ أيْ : هٰذا القولُ مُنكَرٌ ـ والذي يَسرِقُ ويَزني أحسنُ حالاً مِن الذي يقولُ هٰذا ؛ فإنَّ العارفينَ باللهِ أَخَذُوا الأعمالَ عن اللهِ تعالىٰ ، وإلى اللهِ تعالىٰ رَجَعُوا ، ولو بَقِيتُ ألفَ عامٍ . . لم أَنقص مِن أعمالِ البِرِّ ذرَّةً[1] .

وقالَ ذو النُّونِ المصريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (علامةُ العارفِ ثلاثةٌ :

لا يُطفئُ نورُ معرفتِه نورَ وَرَعِهِ .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٤٢) .

ولا يَعتقِدُ باطناً مِنَ العِلمِ يَنقُضُ عليهِ ظاهراً مِنَ الحُكمِ ـ يعني : لا يَعتقِدُ شيئاً يُخالفُ الشَّريعةَ ـ .

ولا تَحمِلُهُ كثرةُ نِعَمِ اللهِ تعالىٰ عليهِ علىٰ هَتكِ أستارِ مَحارمِ اللهِ تعالىٰ)[1] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٤٦) .

باب المحبّة

المحبَّةُ قدْ تكونُ مِنَ اللهِ تعالىٰ للعَبدِ ، وقدْ تكونُ مِنَ العبدِ للهِ تعالىٰ .

فأَمَّا محبةُ اللهِ تعالىٰ للعبدِ : فهي إرادتُهُ لإنعامٍ مخصوصٍ ، كما أنَّ رَحمتَهُ إرادةُ الإنعامِ ؛ فالرَّحمةُ أخصُّ مِنَ الإرادةِ ، والمحبةُ أَخصُّ مِنَ الرَّحمةِ .

فإرادةُ اللهِ تعالىٰ : أنْ يُوصِلَ إلى العبدِ الثوابَ ، والإنعامُ يُسمَّىٰ : رحمةً ، وإرادتُهُ بأنْ يَخُصَّهُ بالقُربةِ والأَحوالِ العَليَّةِ تُسمَّىٰ : محبَّةً .

وإرادتُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ صفةٌ واحدةٌ ، فبِحَسَبِ تفاوتِ متعلَّقاتِها تختلفُ أسماؤُها ؛ فإذا تعلَّقَتْ بالعقوبةِ . . تُسمَّىٰ : غضباً ، وإذا تعلَّقَت بعمومِ النعمِ . . تُسمَّىٰ : رحمةً ، وإذا تعلَّقَت بخصوصِها . . تُسمَّىٰ : محبَّةً .

وأمَّا محبةُ العبدِ للهِ : فحالةٌ يَجِدُها مِنْ قلبِهِ تلطُفُ عن العِبارةِ ، وقدْ تَحمِلُهُ تلكَ الحالةُ على التعظيمِ لهُ ، وإيثارِ رِضاهُ ، وقلةِ الصبرِ عنهُ ، والاهتياجِ إليهِ ، وعدمِ الفِرارِ مِنْ دونِهِ ، ووجودِ الاستئناس بدَوامِ ذِكرِهِ لهُ بقَلبِهِ .

والشَّوقُ نوعٌ مِنَ المحبَّةِ ، إلَّا أنَّه أَزيَدُ منها ، والاشتياقُ أَزيَدُ مِنَ الشَّوقِ ؛ لأنَّ الشَّوقَ اهتياجُ القلوبِ إلىٰ لَقاءِ المحبوبِ ، وهو يَسكنُ باللِّقاءِ والرُّؤيةِ ، والاشتياقُ لا يَزُولُ باللِّقاءِ .

ولا يجوزُ أن يُقالَ : عَشِقَ فلانٌ باللهِ ؛ لأنَّ العِشقَ مجاوزةُ الحدِّ في المحبةِ ، والحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لا يُوصَفُ بأنَّ أحداً جاوَزَ الحدَّ في محبَّتِهِ ، ولو جُمِعَ محابُّ الخَلقِ كلِّهم لشَخصٍ واحدٍ . . لم يَبلُغْ ذٰلكَ استِحقاقَ قَدرِ الحقِّ ، ولا يُوصَفُ الحقُّ بأنَّهُ يَعشَقُ ، ولا العَبدُ ـ في صِفتِهِ سبحانَهُ ـ بأنَّهُ يَعشَقُ .

باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم

لَزِمَ على المُريدِ حفظُ قلبِ شَيخِهِ ، وتركُ الاعتراضِ عليهِ ، وحملُ أفعالِهِ وأقوالِهِ علىٰ وجهٍ جميلٍ إن أمكَنَ ؛ فمَن صَحِبَ شيخاً مِنَ الشُّيوخِ ثمَّ اعترضَ عليهِ بقلبِهِ . . فقدْ نَقَضَ عَقدَ الصُّحبةِ ، ووَجبَ عليه التَّوبةُ ، علىٰ أنَّ الشُّيوخَ قالوا : عُقوقُ الأُستاذينَ لا تَوبةَ عنها[1] .

وقال أبو سَهلٍ الصُّعلوكيُّ : (مَن قالَ لأستاذِهِ : لِمَ ؟ . . لا يُفلِحُ)[2] .

وقالَ أحمدُ بنُ يحيى الأَبِيوَرديُّ : (مَن رَضِيَ عنهُ شيخُهُ . . لا يُكافَأُ في حالِ حياتِهِ ؛ لئلَّا يزولَ عن قلبِهِ تعظيمُ ذٰلكَ الشَّيخِ ، فإذا ماتَ ذٰلكَ الشَّيخُ . . أَظهرَ اللهُ عليهِ ما هو جَزاءُ رِضاهُ ، ومَنْ تَغيَّرَ عليهِ قلبُ شَيخِهِ . . لا يُكافَأُ في حالِ حياةِ ذٰلكَ الشَّيخِ ؛ لئلَّا يَرِقَّ لهُ ، فإنَّهم مجبولونَ على الكَرَمِ ، فإذا ماتَ ذٰلكَ الشَّيخُ . . فحينئذٍ يجدُ المكافأةَ بعدَهُ)[3] .

---

(١) كذا في « الرسالة القشيرية » (ص ٦٧١) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٧٢) .

(٣) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٧٤) .

باب السماع

اعلمْ : أنَّ سماعَ الأَشعارِ بالأَلحانِ الطيّبةِ والنَّغَمِ المُستلَذَّةِ - إذا لمْ يعتقِدِ المُستمِعُ محظوراً ، ولم يَسمَعْ علىٰ مذمومٍ في الشَّرعِ ، ولم يَنجَرَّ في زِمامِ هواهُ . . مباحٌ في الجُملةِ .

ولا خلافَ أنَّ الأشعارَ أُنشِدَتْ بين يَدَي رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، وأنَّه سَمِعَها ولم يُنكِرْها عليهِم في إنشادِها ، فإذا جَازَ سماعُها بغيرِ الألحانِ الطَّيبةِ . . فلا يَتغيَّرُ الحُكمُ بأن تُسمَعَ بالأَلحانِ ، هٰذا ظَاهرٌ مِنَ الأمرِ .

ثمَّ ما يُوجِبُ للمُستمِعِ تَوَفُّرَ الرَّغبةِ على الطَّاعاتِ ، وتذكُّرَ ما أعدَّ اللهُ لعبادِهِ المتَّقِينَ مِنَ الدَّرَجاتِ ، ويحملُهُ على التحرُّزِ مِنَ الزَّلَّاتِ ، ويؤدِّي إلىٰ قلبِهِ في الحالِ صفاءَ الواردات . . مُستحَبٌّ في الدِّينِ ، ومختارٌ في الشَّرعِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ : « حَسِّنُوا ٱلْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ ٱلْحَسَنَ يَزِيدُ ٱلْقُرْآنَ حُسْناً »[1]

وهٰذا الخبرُ يَدُلُّ علىٰ فضيلةِ الصَّوتِ الحَسَنِ .

وقالَ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمَهُ اللهُ : (السَّماعُ حَرامٌ على العَوامِّ ؛ لبَقاءِ نفوسِهِم ، مُباحٌ للزُّهَّادِ ؛ لحصولِ مُجاهداتِهِم ، مُستحَبٌّ لأصحابِنا ؛ لحياةِ قلوبِهِم)[2]

قالَ ذو النونِ المِصريُّ رحمَهُ اللهُ تعالى : (السَّماعُ واردُ حقٍّ يُزعِجُ القلوبَ إلى الحقِّ ؛ فمَنْ أصغىٰ إليهِ بحقٍّ . . تحقَّقَ ، ومَنْ أصغىٰ إليهِ بنَفسٍ . . تَزندَقَ)[3] .

وسُئِلَ الشِّبليُّ رحمةُ اللهِ عليهِ عنِ السَّماعِ ؟ فقالَ : ظاهِرُه فِتنةٌ ، وباطنُه عِبرةٌ ؛

---

(١) أخرجه الدارمي في « المسند » (٣٥٤٤) من حديث سيدنا البراء رضي الله عنه .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٢) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٣) .

فمَنْ عَرَفَ الإشارةَ . . حلَّ لهُ استماعُ العِبرةَ ، وإلَّا . . فقدِ استدعَىٰ لنفسِهِ الفتنةَ ، وتعرَّضَ للبليَّةِ[1] .

وقيلَ : لا يَصلُحُ السَّماعُ إلَّا لمَنْ كانَتْ لهُ نفسٌ ميتةٌ ، وقلبٌ حَيٌّ ؛ فنفسُهُ ذُبِحَتْ بسيوفِ المُجاهدةِ ، وقلبُهُ حيٌّ بنورِ الموافَقةِ .

وسُئِلَ أبو عليٍّ الروذباريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ عنِ السَّماعِ يوماً ؟ فقالَ : ليتنا تخَلَّصنا منهُ رَأساً برأسٍ[2] .

قيل : قصَّ موسى بنُ عمران عليهِ السلامُ علىٰ قومِهِ ، فزَعَقَ واحدٌ منهم ، فانتهَرَهُ موسىٰ ، فأوحَى اللهُ تعالىٰ إليهِ : « يا موسىٰ ؛ بطَلَبي ناحُوا ، وبحُبِّي باحُوا ، وبوَجدِي صاحُوا ، فَلِمَ تُنكِرُ علىٰ عِبادي ؟! »[3] .

واعلمْ : أنَّهم إذا سَمِعوا شيئاً . . فَهِمُوا منه شيئاً يَليقُ بحالِهِم ؛ كما رُوِيَ أنَّ أبا عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميَّ رحمةُ اللهِ عليهِ قالَ : دَخلتُ علىٰ أبي عثمانَ المغربيِّ وواحدٌ يَستسقِي مِنَ البئرِ الماءَ علىٰ بَكرةٍ فقالَ : يا أبا عبدِ الرَّحمٰنِ ؛ تَدري أيشٍ تقولُ البَكَرةُ ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : تقولُ : اللهُ اللهُ[4]

ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّه سَمِعَ صَوتَ ناقُوسٍ ، فقالَ لأَصحابِهِ : أتدرون ما يقولُ ؟ قالوا : لا ، قالَ : إنَّه يقولُ : سبحانَ اللهِ حقّاً حقّاً ، إنَّ المَولىٰ صَمداً يَبقَىٰ[5] .

وقيل : سَمِعَ الشِّبليُّ رحمةُ اللهِ عليهِ قائلاً يقولُ : الخيارُ عَشَرةٌ بدَانقٍ ، فصاحَ وقالَ : إذا كانَ الخيارُ عَشَرةً بدانقٍ . . فكيفَ الشِّرارُ ؟![6]

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٣) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٤) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٩٤) ، بلفظ : (بطيبي فاحوا . . .) .

(٤) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٩٤) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٩٤) ، وفيها : (صمدٌ) بالرفع .

(٦) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦٩٥) .

فإذا فَهِمُوا مِن كلِّ شيءٍ ما هو الحقُّ . . فالقياسُ ألَّا يكونَ بأسٌ بسَماعِ أصواتِ جميعِ الآلاتِ المُطرِبةِ ، ولٰكنْ لا يجوزُ في الشَّرعِ سماعُ صَوتِ آلةٍ تكونُ لشعارِ الخمرِ ؛ كالناقورِ والصغاءِ[1] والرَّبابِ والطُّنبورِ والمزمارِ وطَبلِ المُخنَّثين ، ويجوزُ ضربُ الدُّفِّ معَ الصَّنجِ وغيرِ الصَّنجِ واليَراعِ ، وضَربُ إحدى الكفَّين بالأخرىٰ ، وغيرُ ذٰلكَ ممَّا ليسَ فيهِ تشبيهٌ بشِعارِ الخمرِ .

---

(١) في (ب) : (كالنافر والصناعة) .

باب إثبات كرامات الأولياء

ظهورُ الكَراماتِ على الأولياءِ جائزٌ ، والدَّليلُ علىٰ جوازِهِ : أنَّهُ أمرٌ مباحٌ موهومٌ حدوثُهُ في العقلِ ، لا يؤدِّي حصولُهُ إلىٰ رَفعِ أَصلٍ مِنَ الأُصولِ ، فواجبٌ وصفُهُ سبحانَهُ بالقُدرةِ علىٰ إيجادِهِ ؛ فإذا وَجَبَ كونُهُ مقدوراً للهِ تعالىٰ . . فلا شيءَ يَمنَعُ جوازَ حصولِهِ .

وظهورُ الكَراماتِ علامةُ صِدقِ مَن ظهَرَتْ عليهِ في أَحوالِهِ .

ولا بُدَّ مِنْ أنْ تكونَ الكَرامةُ فِعلاً ناقضاً للعَادةِ في أَيامِ التَّكليفِ ، ظَاهراً علىٰ موصوفٍ بالوِلايةِ ، ولا يجبُ أنْ تكونَ الكَرامةُ لجَميعِ الأَولياءِ ، بلْ لو كانَ أحدٌ موجوداً فيهِ أوصافُ الوِلايةِ ولم تَظهَرْ منهُ كَرامةٌ أصلاً . . لمْ يَقدَحْ عدمُ ظهورِ الكَرامةِ في وِلايتِهِ .

والأَولياءُ مختلفونَ في إظهارِ الكَرامةِ ؛ فأكثرُهم يُخفُونَها ، ويَحترِزُونَ عن إظهارِها ؛ تواضعاً ، وكَراهةَ لاطِّلاعِ النَّاسِ علىٰ أحوالِهِم .

وبعضُهُم يُظهِرُونَها ؛ لِيَظهرَ للنَّاسِ صِدقُهُم وصَوابُ طَريقِهم ؛ لِيَقتدوا بهِم ، ويتوبوا عنِ المعاصي ببَركتِهِم .

قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ رحمهُ اللهُ : دخلتُ البَادِيةَ مرَّةً ، فرأيتُ نصرانيّاً علىٰ وَسَطِهِ زُنَّارٌ ، فسألَني الصُّحبةَ ، فمشَينا سبعةَ أيامٍ ، فقالَ لي : يا راهبَ الحنيفيَّةِ ـ يعني : يا راهبَ الدِّينِ الحنيفيِّ ـ هاتِ ما عندَكَ مِنَ الانبِساطِ ، فقدْ جُعنا ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ لا تَفضَحني في هٰذا الكَافرِ ، فرأيتُ طَبقاً عليهِ خُبزُ شعيرٍ وشِواءٌ ورُطَبٌ وكُوزُ ماءٍ ، فَأكلنا وشَربنا ، ومَشَينا سبعةَ أيامٍ ، ثمَّ بادرتُ فقلتُ : يا راهبَ النَّصرانيَّةِ ؛ هاتِ ما عندَكَ ، انتهتِ النَّوبةُ إليكَ ، فاتَّكأَ علىٰ عَصاهُ ودَعا ؛ فإذا بطَبقَينِ عليهما أضعافُ ما كانَ علىٰ طَبقِي ، قالَ : فتغيَّرتُ وأَبَيتُ أنْ

آكُلَ ، فألحَّ عليَّ ، فلمْ أُجِبهُ ، فقالَ : كُلْ ؛ فإنّي مُبشِّرُكَ ببِشارَتَينِ ؛ إحداهما : أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وحَلَّ الزُّنَّارَ ، والأخرىٰ : أنّي قلتُ : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ لهـٰذا العَبدِ خَطَرٌ عندَكَ . . فافتحْ عليَّ بهـٰذا ، فَفَتَحَ ، قالَ : فأكلناهُ ، ومشَينا ، وحَجَجنا ، وأَقَمنا بمكَّةَ سنةً ، ثمَّ إنَّه ماتَ ، فَدُفِنَ في البَطحاءِ[1] .

وحكاياتُ الكَراماتِ كثيرةٌ ، اختصَرنا بهـٰذا ، واللهُ أَعلَمُ بالصَّوابِ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٧٢٣) .

باب وصيّة المريدين

ينبغي للمُريدِ تحصيلُ شيءٍ مِنَ العلومِ يَصِحُّ بها اعتقادُهُ وعبادتُهُ ، وَليُقلِّدْ أحداً في الفقهِ ؛ كالشَّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أو غيرِهِ مِنَ الأئمَّةِ ، وَليَأخُذْ مِنْ أقاويلِ الأئمَّةِ ما هو أقربُ للتَّقوىٰ ، وَليَترُكِ الرُّخَصَ .

وَليُقلِّدْ شيخاً في سُلوكِ طَريقِ الحقِّ ؛ فإنَّ مَنْ لا شيخَ لهُ . . فشيخُهُ الشَّيطانُ ، وَليَعرِضْ علىٰ شَيخِهِ ما يَجري في خاطرِهِ ، وما يرىٰ في نومِهِ ؛ ليميزَ الشَّيخُ الرَّحمانيَّ مِنَ الشَّيطانيِّ .

وَليَتُبْ أوَّلاً مِنْ كلِّ زلَّةٍ ؛ صَغيرِها وكبيرِها ، وسرِّها وجَهرِها ، ويجتهدْ في إرضاءِ الخُصومِ واستحلالِهم مِنَ الغِيبةِ والبُهتانِ ، والشَّتمِ ورَدِّ المظالم ، وَليَترُكِ العَلائقَ مِنَ الجاهِ والمالِ وحبِّ الدُّنيا ؛ فإنَّ العلائقَ أشدُّ حجابٍ بينَ العَبدِ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، وَليَنظُرْ إلىٰ نفسِهِ بنظرِ الحقَارةِ ؛ فلا يَنبغي أن يَرىٰ شيئاً أَحقَرَ مِن نفسِهِ ، وَليَكُن مُجِدّاً في الطَّاعةِ مِنْ غيرِ كَسَلٍ ووقفةٍ وفَترةٍ .

والفرقُ بين الفَترةِ والوَقفةِ : أنَّ الفَترةَ : رُجوعٌ عنِ الإرادةِ وخروجٌ منها ، والوَقفةَ : سُكونٌ عنِ السَّيرِ باستيلاءِ حَالاتِ الكَسلِ .

وكلُّ مُريدٍ وَقَفَ في ابتداءِ إرادتِهِ . . لا يَجيءُ منهُ شيءٌ ، فإذا جرَّبَهُ شيخُه . . فيجبُ أن يُلقِّنَه ذِكراً من الأذكارِ علىٰ ما يراهُ شيخُهُ ، فيَأمُرَهُ أنْ يَذكُرَ ذٰلكَ الاسمَ بلسانِهِ ، ثم يَأمُرَهُ أن يُسوِّيَ قلبَهُ معَ لسانِهِ ، ويقولُ : اثبُتْ على استِدامةِ هٰذا الذِّكرِ كأنَّكَ معَ ربِّك أبداً بقَلبِكَ ، ولا يَجري علىٰ لسانِكَ غيرُ هٰذا الاسمِ ما أمكَنَكَ ، ثم يَأمُرَهُ بأنْ يكونَ أبداً على الطَّهارةِ ، وألَّا يكونَ نومُهُ إلَّا غَلَبةً ، وأنْ يُقلِّلَ مِنْ غَدائِهِ بالتَّدريجِ شيئاً بعدَ شَيءٍ ؛ حتَّىٰ يَقوىٰ علىٰ ذٰلكَ ، ثمَّ يأمُرَهُ بأن يُنقِّيَ خَواطرَهُ الدَّنيَّةَ والهواجِسَ الشَّاغلةَ عن القَلبِ ، وَليُلازِمِ المكَانَ الذي أَمَرَهُ

الشَّيخُ بمُلازمتِهِ ، ولا يُسافِرْ قبلَ حُصولِ مُرادِهِ ، ووصولِ القَلبِ إلى الرَّبِّ ؛ فإنَّ السَّفرَ للمُريدِ في غيرِ وقتِهِ سُمٌّ قاتلٌ .

وليسَ مِنْ أدبِ المُريدين كَثرةُ الأَورادِ في الظَّاهرِ ؛ فإنَّ القومَ في مُكابدةِ خواطرِهم ، ومُعالجةِ أخلاقِهم ، ونَفيِ الغَفلةِ عن قُلوبِهم ، لا في تكثيرِ أعمالِ البِرِّ .

والذي لا بُدَّ لهم منهُ بتَّةً : إقامةُ الفرائضِ والسُّنَنِ الرَّاتبةِ ، فأمَّا الزِّيادةُ مِنَ الصَّلَواتِ النَّافلةِ . . فاستدامةُ الذِّكرِ بالقَلبِ أتمُّ لهم .

ورأسُ مالِ المُريدِ : احتمالُهُ مِنْ كلِّ أَحدٍ بطِيبةِ النَّفسِ ، وتَلقِّي ما يَستقبِلُهُ بالرِّضا والصَّبرِ على الضُّرِّ والفقرِ ، وتركُ السُّؤالِ والمُعارَضةِ في القليلِ والكَثيرِ فيما هو حَظٌّ لنفسِهِ .

وتقديمُ مَعرفةِ رَبِّ البيتِ على زيارةِ البيتِ . . واجبٌ ؛ فكلُّ مريدٍ لمْ يكُنِ الحجُّ فرضاً عليه . . فلا يَنبغي لهُ أن يَحُجَّ حتَّىٰ يَأمُرَهُ الشَّيخُ ؛ فإنَّ الحجَّ بغيرِ أمرِ الشَّيخِ نشاطُ النَّفسِ ، وما هو فِعلُ النَّفسِ مذمومٌ ، فليُصَفِّ أوَّلاً ظاهرَهُ وباطنَهُ ، وَليُحصِّلْ معرفةَ ربِّ البيتِ ، ثمَّ يَقصِدْ زيارةَ بيتِهِ .

ومِنْ شَرطِ المريدِ : أنْ يكونَ لشيخِهِ وقعٌ عظيمٌ في خاطرِهِ ، وَليُوجِبْ على نفسِهِ خدمتَهُ ورعايةَ حُرمتِهِ ؛ فإنْ أَمَرَهُ بخدمةٍ وإنْ كانَ شيئاً خسيساً . . فَليَقبَل أمرَهُ ؛ فإنَّ ذٰلكَ إنعامٌ منهُ عليهِ ، ولا ينبغي للمُريدِ أنْ يعتقدَ في المشايخِ العِصمةَ ، بلِ الواجبُ أنْ يَذَرَهُم وأحوالَهُم ؛ فيُحسِنُ بهمُ الظنَّ .

ولا يكُنْ في قلبِهِ لشيءٍ مِن عَرَضِ الدُّنيا قَدرٌ ، وَليُنفِقْ ما يُنفِقُ مِن مالِهِ علىٰ كلِّ أحدٍ ، ولا يُميِّز بينَ النَّاسِ في الإنفاقِ ، بلْ يُسوِّي بينَ الكلبِ وغيرِهِ .

وقالَ فتحٌ المَوصليُّ : (صَحِبتُ ثلاثين شيخاً كانوا يُعَدُّونَ مِن الأَبدالِ ، كلُّهُم أَوصَوْني عندَ فِراقي إيَّاهم وقالوا : اتَّقِ مُعاشَرةَ الأحداثِ ؛ يَعني : حرامٌ على المريدِ مُجالَسةُ أهلِ الغفلةِ)[1] .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٧٨٢) .

ومِنْ آدابِ المريدِ في السَّماعِ : ألَّا يُسلِّمَ لهُ الحركةَ بالاختيارِ ألبتَّةَ ؛ فإنْ وَرَدَ عليهِ واردٌ حرَّكَه ؛ فإن قَدَرَ على السُّكونِ . . فالأَولى السُّكونُ ، وإنْ لمْ يَقدِرْ على السُّكونِ . . فلا بأسَ بحركتِهِ حينئذٍ ، فإذا أزالَ ذٰلكَ الواردَ . . فالحركةُ عليهِ حرامٌ بَعدَهُ .

ولا ينبغي للمُريدِ أن يتَّخِذَ مُريداً ، فيتمنَّىٰ أنْ يكونَ شيخاً ؛ لأنَّ الرجُلَ قَبلَ خُمودِ بشريَّتِه وسقوطِ آفتِهِ فهو محجوبٌ عن الحقيقةِ ، لا يَنفَعُ أحداً إشارتُهُ وتأديبُهُ .

ومِنْ شأنِ المُريدِ إذا كانَ طريقتُهُ خدمةَ الفقراءِ : الصَّبرُ علىٰ جَفاءِ القومِ معَهُ ، وأنْ يعتقدَ أنَّهُ يَبذُلُ رُوحَهُ في خِدمتِهِم ثمَّ لا يَجِدُون لهُ أثراً ، فيَعتذِرُ مِن تقصيرِهِ ، ويُقِرُّ بالجنايةِ علىٰ نفسِهِ ؛ تطييباً لقلوبِهِم ، وإن عَلِمَ أنَّهُ بريءُ السَّاحةِ .

وبناءُ هٰذا الأمرِ ومِلاكُهُ علىٰ حِفظِ آدابِ الشَّريعةِ ، وصَونِ اليدِ عن المدِّ إلى الحرامِ والشُّبهةِ ، وألَّا يستحلَّ مِثلَ سمسمةٍ فيها شُبهةٌ في أوانِ الضَّروراتِ .

ومِنْ شأنِ المريدِ : ألَّا يُعاهِدَ اللهَ علىٰ شيءٍ باختيارِهِ ، بلْ يجتهدَ في الطاعةِ مِنْ غيرِ نذرٍ ولا عهدٍ .

ومِن شأنِ المريدِ : ألَّا يكونَ لهُ معلومٌ وإنْ قلَّ ، لا سيَّما إذا كانَ بينَ الفُقراءِ ؛ فإنَّ ظُلمةَ المعلومِ تُطفِئُ نورَ الوقتِ .

ومِن شأنِ المريدِ ـ بلْ مِن طريقِ سالكِ هٰذا المذهبِ ـ : تركُ قَبولِ رفقِ النِّسوانِ غيرِ زوجةٍ ، فكيفَ التعرُّضُ لاستجلابِ ذٰلكَ ؟

باب اللّباس

اعلَمْ : أنَّ اجتهادَهُم في اللِّباسِ مُختلِفٌ ؛ فمنهم مَنْ يَلبَسُ ما يَجِدُ مِنْ غيرِ تكلُّفٍ ، ويأمرُ المريدينَ أيضاً بِلُبسِ ما يَجِدُون ، ومنهم مَنْ يَكرهُ أكثرَ مِن ثوبٍ واحدٍ ، ومنهم مَنْ يُجوِّزُ ثوبينِ للاحتياطِ في الطَّهارةِ ؛ يعني : إذا نُجِّسَ ثوبٌ . . يَلبَسُ الآخَرَ ، ومنهم مَنْ يتَّخِذُ اللِّباسَ علىٰ صفاتٍ مخصوصةٍ مِنَ المَثنيِّ والمرقَّع وغيرِ ذٰلكَ ؛ لِيَكونَ أكثرَ وقعاً في قلوبِ المريدينَ وغيرِهِم ، وَلِيَتميَّزُوا في الظَّاهرِ عن غيرِهِم ؛ لِيَقصِدَهمُ الناسُ ويتبرَّكوا بهم ، ويَقتَدُوا بهم .

ثمَّ المشايخُ أَلبَسُوا المريدينَ الخِرقةَ علىٰ طريقتَينِ :

إحداهما : بعدَ تمامِ التربيةِ ، وظهورِ التقوىٰ والورعِ عليهِم ، وطمأنينةِ قلوبِهِم بهٰذه الطريقةِ .

والثاني : أنْ يُلبِسُوهم في أوَّلِ القَدَمِ ؛ ليكونَ لهم قَيداً ، وناهيَهم عن المعاصي ؛ فإنَّهم إذا همُّوا بمعصيةٍ : فإذا نظروا إلىٰ لباسِ الرجالِ . . استحيَوا ، وخافوا اللهَ أن يَصنَعُوا في لباسِ الصَّالحينَ فعلاً مِنْ أفعالِ الطَّالحين .

فأمَّا الذينَ أَلبسُوا الخرقةَ على المُريدين بعدَ تمامِ التَّربيةِ . . قالوا : الإيمانُ كالرُّوحِ ، والتَّقوىٰ كالجَسَدِ ، فإذا تمَّ الجسدُ . . نُفِخَ فيهِ الرُّوحُ ، فبعدَ ذٰلكَ يحتاجُ إلى اللِّباسِ الذي هو شعارُ المتَّقين .

وأمَّا الذين أَلبَسُوا لهمُ الخِرقةَ في أوَّلِ الإرادةِ . . خافوا عدمَ ثباتِهم ، فأحبُّوا تقييدَهُم بهٰذا اللِّباسِ ؛ رجاءَ أن يَرزُقَهمُ اللهُ الثباتَ ببركةِ لباسِ أهل الصلاحِ ، هٰذا هو أصلُ لُبسِ الخرقةِ .

وأوَّلُ لباسِ المريدِ المَثنيُّ : وهو الذي لهُ ظِهارةٌ وبِطانةٌ فقطْ ، وليس بينَهما

شيءٌ ، وإنَّما يلبسُ في أولِ القَدَمِ المَثْنيُّ ؛ لأنَّ المريدَ في أوَّلِ القَدَمِ مُشتغِلٌ بشيئين : بأداءِ الأوامرِ واجتنابِ المناهي ؛ فإذا كانَ في الباطنِ صفةُ شيئينِ وهما أداءُ الأوامرِ واجتنابُ المناهي . . فَليَكُن في الظَّاهرِ لباسُهُ مَثنيّاً .

فإذا ثبتَ قَدَمُهُ في الأمرِ والنَّهيِ . . فقدْ حانَ وقتُ لباسِ المُرقَّعِ ؛ وهو الذي لهُ ظِهارةٌ وبِطانةٌ وبينَهما شيءٌ مِنَ اللِّبْدِ الضَّريبِ ، وإنَّما يلبسُ هٰذا لأنَّ المريدَ في هٰذا الوقتِ لهُ ثلاثُ صفاتٍ : نفسُ الكلمةِ ، وعينُ الكلمةِ ، ومحضُ الكلمةِ ؛ فنفسُ الكلمةِ : إثباتٌ في أداءِ الأوامرِ واجتنابِ المَناهي ، وعينُ الكلمةِ : أُنسُهُ وطمأنينتُه بذكرِ اللهِ ، ومحضُ الكلمةِ : بالتَّرقِّي وقطعِ المقاماتِ ، والمرادُ بالكلمةِ : خطابُ اللهِ جلَّ جلالُه معَهُ ظاهراً وباطناً .

فإذا وَصَلَ إلى المقامِ . . فقد حانَ وقتُ لُبسِ المُلمَّعِ ؛ وهو لباسٌ فيهِ ألوانٌ مُختلِفةٌ ، وهٰذا اللِّباسُ إشارةٌ إلىٰ أنَّ العبدَ عَرَفَ اختلافَ الصنائعِ والبدائعِ في العالَمِ ، وفَهِمَ مِنْ كلِّ شيءٍ حقيقتَهُ ، واطمأنَّ قلبُهُ بأنواعِ البلايا والشَّدائدِ .

فبعدَ ذٰلكَ يَلبَسُ الخَشِنَ ؛ وهو خِرقةٌ لهُ ضَرَباتٌ كثيرةٌ ، وهٰذا إشارةٌ إلىٰ تحمُّلِ الجراحاتِ والمصائبِ ؛ يعني : بكلِّ إبرةٍ يَغرِزُها في الخَشِنِ يُوصِلُ جراحَهُ إلىٰ قلبِهِ ، ويَطمئِنُّ قلبُهُ بها .

فبعدَ ذٰلكَ يَلبَسُ الطَّلَقَ ؛ وهو الخَشِنُ ، إلا أنَّهُ يُكثِرُ تَرقيعَهُ بخِرَقٍ مختلفةٍ مِنَ الجديدِ والخَلَقِ ، وهٰذا إشارةٌ إلىٰ تركِ التكلُّفِ ، وإخمادِ البشريةِ ، وتركِ المبالاة بلَومِ النَّاسِ لهُ ، وهٰذا إشارةٌ أيضاً إلىٰ تجدُّدِ فُتوحِهم يوماً بعدَ يومٍ ؛ يَعني : كلَّما حَصَلَ لهم فتوحٌ في الباطنِ . . رَقَّعُوا رُقعةً علىٰ لباسِهم ؛ لأنَّ لباسَ الظاهرِ علامةُ أحوالِ الباطنِ .

وكلُّ لباسٍ غيرِ هٰذهِ فهو تَبَعٌ وفرعٌ لهٰذه ، وأمَّا ألوانُ لباسِهم : لا يجوزُ الأحمرُ والأصفرُ ، وما عداهما فجائزٌ ، والأزرقُ للمبتدئ ، والأسودُ لمَن فوقَهُ .

ولا يجوزُ لُبسُ الفَرَجيِّ لغيرِ المشايخِ ؛ لأنَّ الفَرَجيَّ هو الذي يُشَقُّ قُدَّامُهُ ،

والشقُّ إشارةٌ إلى استواءِ الظاهرِ والباطنِ ؛ يعني : كما أنَّ ظاهرَهُ مُزيَّنٌ باتِّباعِ السُّنَّةِ فباطنُهُ كذلكَ ، وهـٰذا كمالٌ لا يَليقُ إلا بالمشايخِ .

وأمَّا جَيبُهم الذي كطوقٍ : إشارةٌ إلىٰ طوقِ العبوديةِ في رقابِهم .

وأمَّا ما يُخاطُ مِثلَ كِيَسةٍ علىٰ جَيبِهم : فإشارةٌ إلىٰ أنَّا هيَّأنَا موضعاً نجعلُ فيهِ ما يجيءُ مِنَ الناسِ مِنَ الإيذاءِ والشَّتمِ والجفاء ، وهيَّأنَا في الصدورِ أيضاً موضعاً لهـٰذه الأشياءِ بالطَّوعِ والرغبةِ .

وأمَّا ما يجعلون تحت جَيبِهم مِثلَ سِنانٍ : إنَّما جعلوهُ ليكونَ زاجراً لهم عنِ الانحرافِ ؛ يعني : إذا قَصَدُوا الانحرافَ ونظروا إلىٰ ذٰلكَ السِّنانِ فيهِ . . عَلِمُوا أنهم لوِ انحرفوا طُعِنُوا بسِنانِ العقابِ واللَّومِ .

وأمَّا جَعلُ رأسِ السِّنانِ نحوَ الصَّدرِ : إشارةٌ إلىٰ خوفِ الطَّعنِ إلى الصَّدرِ والقلبِ ، وأيضاً إشارةٌ إلىٰ أنَّ التَّقوىٰ في القلبِ ؛ كما قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلتَّقْوَىٰ هَا هُنَا » وأشار إلى الصَّدرِ[1] .

وأمَّا اللِّباسُ الَّذي لا جَيبَ لهُ : فإشارةٌ إلىٰ أنَّ صاحبَهُ تحرَّزَ عن رِقِّ الأشياءِ ؛ لا يستقرُّ في قلبِهِ مدحٌ ولا ذمٌّ ولا غيرُها مِنَ المعلوماتِ ، فإذا كانَ كذٰلكَ . . فلا يحتاجُ إلىٰ ظرفٍ يجعلُ فيهِ الشَّتمَ والجفاءَ .

وأمَّا خرقُ اللِّباسِ عندَ السماعِ : فكلُّ موضعٍ خَرَقَهُ إشارةٌ إلىٰ معنىً ؛ فإنْ خَرَقَ جَيبَهُ الذي هو مِثلُ كِيَسةٍ . . إشارةٌ إلى التحرُّزِ ، ورفعِ المعلومِ ، واستواءِ المدحِ والذمِّ عندَهُ ، وإنْ خَرَقَ كُمَّه . . فمعناهُ : قطعُ يدِ التَّصرُّفِ ، والتسليمُ بالقضاءِ ، وإن خَرَقَ ذَيلَهُ . . فمعناهُ : قطعُ الرِّجْلِ عن التردُّدِ بالاختيارِ ، وقطعُ العلائقِ ، وإنْ خَرَقَ قُدَّامَ جَيبِهِ . . فمعناهُ : رفعُ الحجابِ عن صَدرِهِ ، وظهورُ نورِ التجلِّي فيهِ .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا يجوزُ خَرقُ الخِرقةِ إلا للشَّيخِ ؛ لأنَّ الشيخَ مأمورٌ بالشَّفقةِ على المريدينَ ، وشرحِ ما يُمكِنُ شرحُهُ بالعبارةِ عنِ الطَّريقةِ ، ففي غيرِ السَّماعِ يُمكِنُه أن يُنعِمَ عليهم بما يَظهَرُ لهُ مِنَ الفتوحِ الباطنيِّ بالعبارةِ ، وأمَّا في السماعِ . . فلا يُمكِنُهُ أن يَشرَحَ لهم ما ظَهَرَ مِنَ الحالِ ، فيَخرِقُ الخِرقةَ لِيُنعِمَ عليهِم بالخرقةِ ؛ لئلَّا يُحرَمُوا مِنْ بَرَكتِهِ في السماعِ ، كما لم يُحرَمُوا في غيرِ السماعِ ، فخرقةُ الشيخِ إذا خَرَقَها . . لا يجوزُ إلَّا للتفرقةِ بين القومِ .

وأمَّا غيرُ الشيخِ من المبتدئينَ إذا خَرَقَ خِرقتَهُ من الدَّهشةِ والحَيرةِ . . لا يجوزُ تفرقتُها ، بلْ إنْ رَجَعَ عليها بعدَ سُكونِ حالِهِ . . فهو أَولىٰ بها ؛ يَخيطُها ويَلبَسُها ، وإن لم يَرجِع عليها ؛ فإن دَفَعَ إلى القوَّالِ . . جازَ ، وإنْ سامحَ القوَّالَ بأن يَدفَعَ إلىٰ محتاجٍ مِنَ الجمعِ . . فَعَلَ ، وإنْ لم يُسامِحْ . . فهو للقوَّالِ .

واللهُ أعلمُ .

باب آدابهم في السَّفر وغيره

ينبغي للمسافرِ أنْ يَحفَظَ لسانَهُ عن التكلُّمِ إلَّا عندَ الضَّرورةِ ، وأن يَبسُطَ يَدَهُ في بَذلِ ما فُتِحَ لهُ ، وخِدمةِ الرَّفيقِ وغيرِهِ .

ولا بدَّ لهُ مِنَ السَّجَّادةِ والإبريقِ والعصا ، وليكُنْ للعصا سِنانٌ لِيَحفِرَ الأرضَ الصُّلبَ لأجلِ البَولِ ؛ كي لا يُصيبَهُ الرَّشاشُ ، وَلْيَغرِزَ العَصا ، ويُلقي عليها ثوبَهُ عندَ الوُضوءِ ، وَلْيَكُنْ في الإبريقِ ماءٌ أبداً ، وإذا ما انكَسَرَ إبريقُ الصُّوفيِّ في الطريقِ . . فَلْيَحمِل جَرَّةَ الإبريقِ أو غيرَها منهُ ؛ ليكونَ معَهُ في الدخولِ إلى الرباطِ وغيرِه لِيعلَمَ أهلُ ذٰلكَ الموضعِ أنَّهُ قدْ كانَ معَهُ الإبريقُ في الطريقِ وقدِ انكسَرَ .

وليكُن معَهُ مِلحَفةٌ أو قدرٌ كبيرٌ مِنَ الكِرباسِ ليكونَ كَفَنَهُ لو ماتَ ؛ حَذرَ أن يَشتغِلَ قلبٌ بتجهيزِهِ ، وليكونَ معَهُ خريطةٌ مَثنِيَّةٌ لِيَضَعَ فيها مَداسَهُ[1] ، ولِيَشُدَّ الصوفيُّ شيئاً في وَسَطِه ، ويَضَعْ خريطةَ المَداسِ خَلفَ ظهرِهِ داخلَ الخِرقةِ .

ولْيَكن معَهُ مُشطٌ وسواكٌ وإزارٌ صغيرٌ يَشُدُّ به المُشطَ والسِّواكَ ، ويُنشِّفَ بهِ أعضاءَهُ عندَ الوضوءِ .

وَلْيَكُن مُشمِّراً في المشيِ ، وإذا قَرُبَ مِنْ بابِ الرِّباطِ . . فَلْيَحُطَّ ما علىٰ ظهرِهِ مِنَ السَّجَّادةِ والمِلحَفةِ وغيرِهما ، وَلْيَأخُذِ الراويةَ تحت إبطِه اليسرىٰ ، وَلْيَأخُذِ الإبريقَ والعصا بيدِهِ اليسرىٰ ، ويَجعَلْ يَدَهُ اليمنىٰ خاليةً ، وإذا دَخَلَ الرباطَ بهٰذا الترتيبِ . . لا يُسلِّمْ علىٰ أهلِ الرباطِ .

فإنِ استَقبَلَه أحدٌ مِنْ أهلِ الرباطِ لِيَأخُذَ منهُ راويتَهُ . . لم يَمنَعهُ ، ويَحُلَّ وَسَطَهُ ، ويُخرِجْ خريطةَ المداسِ بيدِهِ اليُمنىٰ ، ويَحُلَّ رأسَ الخريطةِ بيدِهِ اليُمنىٰ ،

---

(١) في (أ) : (ملابسه) ، وكذا لنهاية النسخة وقع (الملابس) بدل (المداس) .

ويُخرِجِ المداسَ بيدِه اليسرىٰ بحيثُ لا يُصيبُهُ غُبارُ الخريطةِ ، وَليَشُدَّ رأسَ الخريطةِ كَي لا يَتناثَرَ منهُ غُبارٌ ، وَليَضَعْ ما يَشُدُّ بهِ وَسَطَهُ في وَسَطِ الخريطةِ ، ويَلُفَّ بهِ الخريطةَ ، ويَضَعْهُ على الزَّاويةِ ، وَليَحُلَّ لِفافةَ رِجلِهِ اليسرىٰ ، ويُخرِجْ خُفَّها ، فإنْ أرادَ أحدٌ أن يَحُلَّ لِفافتَهُ ويُخرِجَ خُفَّه . . لمْ يَمنَعْهُ ، فإذا اشتغلَ ذٰلكَ الرَّجُلُ بإحدىٰ رِجلَيهِ . . فَليَشتغِلْ هو برجلِهِ الأخرىٰ ، وَليَحفَظِ اللِّفافةَ وما لَفَّ بهِ اللِّفافةَ عن أنْ يقعَ في الأرضِ ، وَليَلُفَّ اللِّفافةَ ، ويَضَعْهُ في الخفِّ أو في خريطةِ المداسِ الذي كانَ معَهُ في الطَّريقِ ، فإنْ كانَ علىٰ رِجلِهِ غبارٌ يَأخُذُ المداسَ بيدِه اليسرىٰ ، ويَقصِدُ الماءَ ، ويُجدِّدُ الوضوءَ ، ثمَّ يَجيءُ فيَنظُرُ أينَ بَسَطَ سَجَّادتَهُ ، ويأتي السَّجَّادةَ ، ويُصلِّي الرَّكعتَينِ ، فإنْ كانَ لهُ رُفقاءُ . . يَنتظِرُهُم في السِّقايةِ حتىٰ يَفرُغُوا مِنَ الوضوءِ ، ويَجيئون معاً ، فإذا صلَّىٰ . . نَظَرَ مَنْ هو مُقدَّمُ القومِ يأتيهِ ويُسلِّمُ عليهِ ، ويتواضعُ لهُ ، ثمَّ يَرجِعُ إلى السَّجَّادةِ ، ولا يَتكلَّمُ إلَّا أنْ يُسأَلَ شيئاً فيُجيبَ ، ويَنظُرُ إلىٰ أفعالِ أهلِ الرِّباطِ والشَّيخِ وأقوالِهم ، ويَطلُبُ مِنْ نفسِهِ سرَّ ما يَصدُرُ منهم ، فإنْ رأىٰ شيئاً قبيحاً . . لا يَتكلَّمُ فيه ما دامَ في القومِ أكبرُ منهُ ، ويرضىٰ بما قالَ الشَّيخُ ، فإنْ أرادَ أنْ يَعلَمَ سرَّ فِعلٍ صَدَرَ مِن أحدٍ . . فَليَسأَلْ عنه باللُّطفِ والأدبِ ، وَليَقُلْ : يا سيِّدي ؛ خَفِيَ عليَّ سرُّ هٰذا القولِ أوِ الفعلِ ، أفِدني ونبِّهني بكشفِ سرِّهِ لأستفيدَ منكَ .

وَلتَكُنْ جميعُ أفعالِهِ وأقوالِهِ مع إخوانِهِ وجلسائِهِ باللُّطفِ والصَّفاءِ ، وَليَبتعِد عن الخشونةِ في القولِ ، وَليَصفَحْ عن الإخوانِ ، وَليَتحمَّلْ أذاهُم ؛ فإنَّ التَّصوُّفَ هو الخُلُقُ الحسَنُ ، فإذا أرادَ الخروجَ مِنْ ذٰلكَ الموضعِ . . فَليَستأذِنِ الشَّيخَ ، وإنْ لمْ يَأذَنْ له الشيخُ بالخروجِ . . أقامَ مدَّةً مِنْ أجلِ خاطرِ الشيخِ ؛ فَليَستَحلِلْ مِنَ القومِ ، فإنْ كانَ لهُ غُبارٌ معَ أحدٍ . . فلا يَخرُجْ حتىٰ يَرفَعَ ذٰلكَ الغُبارَ .

وَليَزُر أهلَ ذٰلكَ الموضعِ مِنَ الأحياءِ والأمواتِ ، وَليَلُفَّ كُمَّهُ اليمنىٰ أوَّلاً عندَ الخروجِ ، ثمَّ اليسرىٰ ، ثمَّ يَشُدَّ وَسَطَهُ ، وَليَمسَحْ تحتَ إحدى النَّعلينِ

على الأخرىٰ ، ويَضَعْ تحتَ إحداهما بالأخرىٰ ، ويَضَعْهُما في الخريطةِ بحيثُ يكونُ رأسُ المداسِ نحوَ رأسِ الخريطةِ ، ويشدَّ رأسَ الخريطةِ ، ويَضَعِ الخريطةَ خلفَ ظهرِهِ داخلَ الخرقةِ ويجلسْ ، ويَجعَلْ أولاً رِجلَهُ اليمنىٰ في الخفِّ ، ثمَّ اليسرىٰ ، بحيثُ لا يَقَعُ مِنْ ثيابِهِ شيءٌ على الأرضِ ، ثمَّ يَغسِلْ يَدَيهِ بعدَ الفراغِ مِنْ لُبسِ الخفِّ ، وَلْيَحمِلِ الرَّاويةَ تحتَ إبطِه اليسرىٰ ، والعصا والإبريقَ أيضاً بيدِهِ اليسرىٰ ، فإنْ حَمَلَ أحدٌ راويتَهُ . . لمْ يَمنَعْهُ ، فإذا خَرَجَ مِنَ الرباطِ . . جَعَلَ الراويةَ علىٰ ظهرِهِ ، ويُودِّعُ مَن يَتبَعُهُ للوداعِ ، ويُدبِرُ ثمَّ يُقبِل على القومِ في كلِّ لحظةٍ ما دامَ القومُ واقفين ينظرونَ إليهِ ، ويُشيرُ إليهم برأسِهِ للخدمةِ والتواضعِ ثلاثَ مراتٍ متفرقاتٍ .

ولكلِّ واحدٍ مِنْ آدابِهم سرٌّ ؛ أما سرُّ حملِ راويتِه عن ظهرِهِ قبلَ أنْ يَدخُلَ الرباطَ : فلا يكونُ دخولُ الرباطِ بغيرِ حِملٍ ؛ لأنَّ الرباطَ موضعُ التجريدِ ، وأمَّا حَملُ الرَّاويةِ تحتَ إبطِه اليسرىٰ : فلأنَّ الراويةَ مِنَ الدُّنيا ، فلا تَشتَغِل بهِ يدُهُ اليمنىٰ ؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ حقيرٍ يُعمَلُ باليدِ اليسرىٰ ، وأمَّا تَركُ السلامِ عندَ الدخولِ : فلأنَّ الصوفيَّ يُقدِّمُ خدمةَ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ شيءٍ ، فإذا تَوضَّأَ وصلَّىٰ تحيَّةَ الموضعِ . . فحينئذٍ يُسلِّمُ على القومِ .

وأمَّا ابتداؤُهم بإخراجِ الرِّجلِ اليُمنىٰ مِنَ المَداسِ والخفِّ عندَ الدخولِ في الرباطِ وجعلُ رِجلِهِ اليمنىٰ في الخفِّ والمداسِ أوَّلاً عندَ الخروجِ : لأنَّ السفرَ إتعابُ النفسِ ، وهو طاعةٌ ، فَلْيَجعَلِ الرِّجلَ اليمنىٰ مُتأخِّراً في إخراجِ الخفِّ مِنَ الرِّجلِ لِيَبقىٰ في الطاعةِ لحظةً أخرىٰ ، ويَبتَدِئ بالرِّجلِ اليمنىٰ في لُبسِ الخفِّ لِيَكونَ أوَّلاً في الشروعِ في الطاعةِ ، ومِثلُهُ الدخولُ في المسجدِ ؛ فإنَّهُ طاعةٌ ، فلذٰلكَ تُقدَّمُ الرِّجلُ اليمنىٰ في الدخولِ ، واليسرىٰ في الخروجِ .

وأمَّا استصحابُهُمُ السَّجَّادةَ : قيلَ : معناهُ : أنَّه مَحَلُّ التمييزِ ؛ فمَنْ كانَ مُتجرِّداً عن الأفعالِ والأقوالِ المذمومةِ ، ومُتحرِّزاً عن التلوُّثِ بالحرامِ والشُّبُهاتِ ؛ بحيثُ

يصيرُ مَرضِياً عندَ هٰذه الطائفةِ . . فقدِ استحقَّ الجلوسَ على السجَّادةِ ، وقيلَ : السَّجَّادةُ مُعرَّبٌ ، معناهُ : ثلاثُ طُرُقٍ : الشريعةُ والطريقةُ والحقيقةُ ؛ فمَن سَلَكَ هٰذه الثلاثةَ . . استحقَّ السَّجَّادةَ ، ولا يَسَعُ هٰذا المختصرُ أكثرَ مِن هٰذا .

تمَّ المختصرُ المسمَّىٰ : « إرشادُ المريدينَ وإنجادُ الطَّالبينَ » مِن مصنَّفاتِ مولانا شيخِ الإسلامِ ، مَلجأِ السَّالكينَ ، وسيِّدِ العارفينَ ، قُطبِ الأقطابِ ، وسنَدِ الأبدالِ ، الشَّيخِ شهابِ الملَّةِ والدِّينِ السُّهرَوَردِيِّ قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ونوَّرَ ضريحَهُ ، في العشرين ، ربيع الآخَر ، لسنةِ ثمانٍ وسبعِ مئةٍ[1] .

---

(١) في الأصل : (ثمانٍ وسبعين مئةٍ) ، ولعلَّ المثبت أقرب إلى الصواب .